وَقَفَاتٌ على فَضَائِل وَصِفَاتِ دَاوّد عليه السلام كما وردت في القرآن

ـ دراسة موضوعية ـ

د. روضة محمد بن ياسين

أستاذ / التفسير وعلوم القرآن

قسم / الكتاب والسنة

كلية الدعوة وأصول الدين ـ جامعة أم القرى

من ٥٦٣ إلى ٦٣٢

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم وحدة موضوعية قرآنية ، تتناول (وقَفَاتٌ على فَضائِل وخَصَائِص داوّد عليه السلام كما وردت في القرآن) . دراسة موضوعية . استخْدمتُ فيها المنهج الاستقرائِي الاستنباطِي ، وقد عمدتُ في هذه الدراسة إلى حصر الآيات القرآنية الخاصة بذكر داود عليه السلام ، ثم تصنيفها حسب موضوع كل آية ، وشرحها شرحاً مفصّلاً بما ورد وصحّ عن جمهور المفسرين ، مع العَرْض لاختلاف أقوالهم ، ثم الترجيح بينها ، بتوجِيه كُلِ قول ما أمكنني ذلك .

ولما كانت هذه الآيات في مضمونها تتحدث عن موضوعات متفرّقة ، لذا عمدت إلى تصنيفِها لعِدة موضوعات ، ابتدأتُ فيها بالحديث عن اسم داود عليه السلام ونبوّتِه ، ثم تَعَرّضتُ إلى الحديث عن عُبوديته ، ثم إلى مُلْكِه عليه السلام، ثم إلى مُعْجِزَتِيَ تَسْخِير الجِبال معه والطّيْر ، ثم انتقلتُ للحديث عن حِكمته عليه السلام ، وخَاصِيته في فَصْلِه للخِطَاب ، ثم ما امتاز به من عَمَل والإتقان فيه ، وانتهيتُ بالحديث عن تَنْصِيبه للخِلافة بحكم الله تعالى .

وهذا ما اقتضتُه الدراسة أن تكون مشتملة على مقدمة ، وتمهيد ، وسبعة مَطَالب، و خَاتِمة ، ثم ينتهي كلُ مَطْلب بِلَطِيْفةٍ أستَرْشِدُ من خلالها بما شَملته الآية من هِدايات قرآنية تتعلق بموضوعها ومضمونها ، لِتَرْسِم في نهاية كل مَطَاف منهجاً إسلامياً يحقق صلاح الفرد والجماعة ، ثم خَلَصْتُ في نهاية البحث إلى مجموعة من النتائج ، والتي أهمها : أن حياة الأنبياء عامة تُعطي لنا صُورة فاضِلة متكاملة عن الإسلام ، ومنهجية لحياة الفرد التي تُبنَىَ عليه المجتمعات الفاضلة ، بعيدة الأهواء والشهوات والمشتهيات وهي ما تمثّلت في صِفات وفَضَائل داود عليه السلام ، التي شملت الكثير من جوانب الحياة الدينيةِ والعلميةِ والعمليةِ والاجتماعيةِ والسّياسيةِ على حَدٍّ سَواء .

الباحثة .

ABSTRACT

This study aims to offer Quranic Objective Unit deals with (Studying the Virtues and Features of the Prophet Dawood (Peace Beupon Him) as mentioned in the Holy Quran). It is an objective study used the deductive inductive approach. The researchercalculated the Quranic verses that mentioned the Prophet Dawood (PBUH), and after that classified it according to the theme of each verse and explaining it in detail. This is accompanied by the differences sayings and comments of explainers and preferring between such comments and sayings. As such verses are dealing with Different topics, so I classified such topics in a method suites the theme of the verse.

The researcher commenced with speaking about the name of the Prophet Dawood (PBUH), then his bondage and Prophecy. After that, the researcher dealt with the kingdom of the prophet Dawood, followed by the miracle of making mountains and birds serving him, then speaking about his wisdom, his feature in speaking and what he was distinguished in work and his mastering to it. Finally, the researcher mentioned his Inauguration of succession.

This study has an introduction, preface, seven themes and a conclusion. Each theme has quotations from the Holy Quran deal with the verses theme. By this, we can draw an Islamic approach achieves the reformation of the individual and community. The study reached to important results from which are the followings: The life of prophets in general gives us

an integrated picture about the Islam, as well as the life of the individual in which the good communities are built. This is embodied in the virtues and features of the Prophet Dawood (Peace Be Upon Him), which has the religious, academic, social and political life

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الهُدىٰ ، ونبي التُّقى ، ونور الدُّجى ، محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه إلى يوم الدين .

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء:٩] ، فَمِن شَرَف القرآن الكريم الذي هو أفضل الكتب السماوية وأجلّها ، أنه يهدي للطريقة التي هي أَسَدُّ وأعْدَل وأَصْوَب ، ويُرشد إلى الخِصال التي هي أقْوَم وأصْلَح .

ولمّا كانت الدعوة إلى توحيد الله تعالى والإيمان به وبرسله وطاعته هي أقوم الطُّرق على وجه الإطلاق ؛ فلا غَرَابة أن يكون من هَدْيِه تعالى أَخْذ الاعْتِبَار والاقْتِدَاء والاتّعَاظ من القَصص القرآني ، ومن سِيرة الأنبياء عليهم السلام .

أولاً : أهمية البحث وسبب اختيار الموضوع :

لمّا كان داود عليه السلام ضِمن الأنبياء المذكورين في القرآن الكريم ، وقد ذَكَره الله تعالى ذكراً مَخْصُوَصاً في صِفاته وفضائله ، مُغْدِقاً عليه الكثير من الخصائص .كغيره من الأنبياء ؛ و جَامِعاً له بين المُلْك والنّبوة ـ ولم يكن ذلك لأحد من قبله ـ فالمتأمِّل لجميع الآيات القرآنية التي ذَكَر الله تعالى فيها داود عليه السلام ، يُدرك أنّ هناك هِدايات عِدة وراء كل صفة أو فضيلة ، لابدّ أنْ يسترشد بها القارئ ، ويهتدي بها للوصول إلى الطريق المستقيم ؛ ليرسم نَهج حياته كما هو شأن داود عليه السلام ، وبذلك تتضح صُورة الإسلام المشرِّفة ، بعيدة عن أي تحريف أو تشويه ، متلمِّساً إعجاز القرآن الكريم الذي يهدف إلي تحقيق صلاح الأفراد والجماعات في كل آية من آياته ، وهذا ما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع، وقد أسميتُه :

(وَقَفَاتٌ عَلَى فَضَائِل وَصِفَاتِ دَاوُّد عليه السلام كَمَا وَرَدت فِي القُرآن الكَريم)ـ دراسة موضوعية.

ثانياً : الدراسات السابقة :

هناك كثير من الدراسات التي تطرقت لحياة داود عليه السلام في مجال السيرة والثقافة الإسلامية ، ومنها ما وقفتُ على قصته عليه السلام كما وردت في الموسوعات العلمية وكتب التفسير ضمن القصص القرآني ، إلاّ أنه لم يقع بين يدي مَن عَرَضَ الآيات الخاصة به عليه السلام عَرْضاً موضوعيًّا مفسَّراً، بعيداً عن التحريفات والتأويلات الباطلة ، متضمّناً وقفات قرآنية نسترشد منها ما احتوته كل آية من هِدايات وتوجيهات إسلامية .

ثالثاً : أهداف البحث :

الوقوف على فضائل وصفات النبي داود عليه السلام الواردة في القرآن ، والوصول إلى ما تشمله تلك الآيات من معانٍ وهِدايات متنوعة ، تُمَثّل الأساس في حياة الفرد والمجتمع المسلم ، والسير بمنهجيتها في الحياة الدينيةِ، والعِلْمية ، والعَمليّةِ ، والاجتماعيةِ، والسياسيةِ ، على حَدٍّ سَوَاء، بعيدةً عن الشُّبهات والأباطيل المزعومة .

رابعاً : منهج البحث :

استخْدَمتُ في هذا البحث المنهج الاستقرائِي الاستنباطِي ، وذلك بِحَصْر الآيات المتعلقة بفضائل وصفات داود عليه السلام ، ثم الوقوف على أقوال المفسرين لها ، والترجيح بينها للوصول إلى الرأي الرّاجح ، دون التعرّض لدقائق وأسرار اللغويات والألفاظ ـ إلاّ ما ندر.

ثم اجتهدت في استنباط ما تشمله كل آية من هدايات مرتبطة بمعناها ، وأَدْرَجْتُها ضمن عدة لطائف ، تحت سبعة مطالب .

وقد انتهيت في تقسيم هذه الدراسة إلى :

مقدمة ، وتمهيد ، وسبعة مطالب ، وخاتمة .

فأما المقدمة : فتشمل أهمية البحث ، وأسباب اختيار الموضوع ، والدراسات السابقة ، وأهداف البحث ، ومنهجي الذي سرتُ عليه، وخطة البحث .

وأما التمهيد : فهو في التعريف بالنبي داود عليه السلام ـ اسمه ونبوته .

وأمّا السبعة المطالب فهي :

- المطلب الأول : في عُبُوديتِه عليه السلام .
- المطلب الثاني : في مُلْكِه عليه السلام .
- المطلب الثالث : في تسخِير الجبال والطير معه عليه السلام .
- المطلب الرابع : في حِكْمته عليه السلام .
- المطلب الخامس : في فَصْلِه عليه السلام للخِطَاب
- المطلب السادس : في عَمَلِهعليه السلام وإتْقَانِه فيه .
- المطلب السابع : في خِلافته عليه السلام .

وأما الخاتمة : فقد ضمنّتها :

- ملخصاً لأهم النتائج في هذه الدراسة .
- فهرس المراجع .
- فهرس الموضوعات .

خامساً : خطة البحث :

١. حصرتُ الآيات التي تتضمن سيرة النبي داود عليه السلام .
٢. فسّرتُ الآية ، واقتصرتُ على ذكر معناها العام عند المفسرين.
٣. عرضتُ بعض أقوال المفسرين التي تلزمني في الدراسة ثم رجّحتُ بينها، وإلا جمعت فيما بينها إذا أمكنني ذلك .
٤. ترجمتُ للأعلام الوارد ذكرهم في البحث .
٥. اعتنيت بموضوع كل آية من الآيات .
٦. اعتنيتُ بما تشمله كل آية من هِدايات قرآنية ، وعَرضتُ موضوع كل هِداية عرضاً موضوعيّاً مُستقلاً.

٧. تجنبتُ الكثير من التحليلات اللغوية ، والصور البلاغية والبيانية ، إلاّ ما ألزمني فيه المقام .

٨. اقتصرتُ في ذكر الأحاديث على ما ثبت فيها وصحّ .

٩. ذكرتُ كلمة (انظر) في الهامش على ما أخذته بتصرف .

١٠. ذكرتُ اسم الكتاب في الهامش دون كلمة (انظر) لما أَخَذْتُه بالنّص.

١١. عزوتُ الآيات القرآنية .

****

الباحثة

التمهيد :

التعريف بداود عليه السلام :

هو: داود بن إِيْشى بن عُوَيْدَ بوزن جعْفر بن بَاعَزَ بن سَلَمُونَ بن نَحْشُوَنَ بن عَمِي نَادب ، بن رَامَ بن حَصَرُونَ ، بن فَارَصَ بن يَهُوذَا بن يَعْقُوبَ بن إِسْحَاقَ بن إِبْرَاهِيم الخَلِيل ، أبو سليمان عليهم السلام[1] من نَسْلِ نُوح عليه السلام ، لقوله تعالى : ﴿ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ ﴾ [2].

جاء اسمُه عليه السلام في القرآن في (١٦) ستة عشرة موضعاً [3] في مواطن مختلِفة ، وبأساليب متغايرة ، في آيات يُكمّل بعضُها بعضاً، [4]. وقد وَرَدَ أغلبُها في سورة (ص) .

([1]) انظر : تاريخ الطبري ١/ ٤٧٦ ، و البداية والنهاية لابن كثير ٢/ ٣٠٠ ، وقد وقع كثير من الاختلاف في اسمه .

([2]) سورة الأنعام آية :٨٤

([3]) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، باب الدال (داود) .

(٤) وهي قوله تعالى:﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ البقرة : ٢٥١، وقوله :﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ النساء: ١٦٣، وقوله ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ المائدة : ٧٨، وقوله ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ الأنعام: ٨٤ ، قوله: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ الإسراء ٥٥، وقوله ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا

لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ
ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم
مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ٨٠" الأنبياء ٧٨– ٨٠ ،) وقوله : " وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ
عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ
وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦"
النمل ١٥ – ١٦، وقوله:" وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ
ٱلۡحَدِيدَ ١٠ أَنِ ٱعۡمَلۡ ===
=== سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١ وَلِسُلَيۡمَٰنَ
ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ
بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ١٢ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن
مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ
ٱلشَّكُورُ ١٣ ﴾ سبأ: ١٠ – ١٣، وقوله :﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ
أَوَّابٌ ١٧ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ١٨ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ
١٩ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ٢٠ * وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ
تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ٢١ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ
بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ٢٢ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ
نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ٢٣ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ
نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ
مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ ۩ ٢٤ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ
عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٢٥ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ

آتاه الله النّبوة بعد النبي (شَمْوِيلَ) وقيل : (أَشْمُول) وقيل : (أَشْمُوِيلَ بن بَالِي) ينتهي نَسَبُه إلى إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام [١] لقوله تعالى : ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [٢]

قال السدي : أي النّبوة [٣] ، في بني إسرائيل ، قال عز وجل : ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۝٧٨﴾ [٤]

ذهب مجاهد إلى أن : المراد أنّ بني إسرائيل لُعِنُوا على أَلْسِنة أنبيائهم ، فلُعِنوا في الزّبور، على لسان داود عليه السلام فصاروا قِردة ، ولُعِنوا على لسان عيسى عليه السلام فصاروا خنازير [٥] .

وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ ص:٢٦.١٧.

(١) انظر : الكامل في التاريخ ١/ ١٨٩ ، و تفسير ابن جرير ٢/ ٣٧٣ / ٤٠٣ ، والبداية والنهاية ٢/ ٣٠١.

(٢) سورة البقرة آية : ٢٥١

(٣) انظر: تفسير ابن جرير ٢/ ٤٠٣ . والسدي هو : إسماعيل بن عبد الرحمن ، تابعي حِجازي سكن الكوفة، صاحب التفسير والمغازي ، توفي سنة (١٢٨هـ) انظر : النجوم الزاهرة ١/٣٠٨..

(٤) سورة المائدة آية : ٧٨ .

(٥) انظر : تفسير ابن جرير ٦/ ٢٠٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٤ / ١١٨٢ . و مجاهد هو : أبو الحجاج مجاهد بن جبر ، تابعي ، شيخ القراء ومفسر أهل مكة ، أخذ التفسير من ابن عباس توفي سنة (١٠٣هـ) انظر : ميزان الاعتدال ٣/ ٩ ، وغاية النهاية ٢/ ٤١ ،

بعثه الله تعالىٰ بالزّبورۖ ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾ (١) ، والزّبُور : اسم لكتابه عليه السلام المُنَزَل عليه ، وهو مقْصُور على الحِكم العقلية ، وشيءٍ من التحميد والتمجيد ، والثناء على الله تعالىٰ ، ويشمل على كثير من المواعظ والأخبار دون الأحْكَام .

وقد ذكر الله تعالىٰ نبيّه داود عليه السلام في القرآن بكثير من الفضائل والصفات شملت العديد من جوانب حياته عليه السلام الدينية ، والعلمية ، والعملية ، والاجتماعية ، والسياسية، مما يلفت النَّظر إلى وجود إشارات خَفِيّة وراء هذه الخصائص والفضائل.

وهذا ما سوف يتمّ التطرق إليه من خلال المطالب القادمة – إن شاء الله .

*****

(١) سورة النساء آية :١٦٣ ، وسورة الإسراء آية : ٥٥ .

المطلب الأول : في عُبودِيته عليه السلام

يُقَدِّم لنا القرآن الكريم صُورة مُشْرقة عن جانب هام من حياة داود عليه السلام وهو الجانب الرَّوحاني التَّعبدي ، فلم يكن عليه السلام عابداً لله تعالىٰ مِثل كل العِباد ، بل قد بلغ في عبادته ذروتها، حتىٰ أنه عليه السلام كان موصوفاً بالقوة في العبادة ، قال عزّ وجل في ذلك، آمراً نبيّه محمد ﷺ: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝١٧ ﴾ [١] .

قوله تعالىٰ : ﴿ وَٱذۡكُرۡ ﴾ :

الخطاب للنبي ﷺ، والمراد : اصبر يا محمد علىٰ مَكَارِه وشدائد قومك ، فإنَّا مُمْتَحِنُوك بذلك كامتحان الرسل من قبلك ، وتذكّر قصة داود عليه السلام، وخُذْ منها عظات وعبر .

فبالرغم مما له من قوة عليه السلام و معجزات وأفضليّة ، إلاّ أنّ قومه اجترؤوا عليه ، فمنهم المكذّب، ومنهم المنكر له[٢].

قوله : ﴿ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ﴾ :

من المعلوم إنَّ (العبودية) لله هي أعلىٰ وأَشْرف مراتب الدين وأقْدَسِها وأجلّها ، وهي مما تقتضيه الفطرة الإنسانية ، والعقل السليم والمنطق ، مأخوذة من العِبادة ، وهي أبلغ من العبودية لأَنّ مُرَادَهَا غَاية التذلل [٣]، ولا يستحقها إلاّ الله تعالىٰ ولهذا قال سبحانه : ﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [٤].

---

(١) سورة ص آية : ١٧ .

(٢) انظر : تفسير ابن جرير ٨٦/٢٣ ، وروح المعاني ١٧٣/٢٣.

(٣) المفردات في غريب القرآن ، كتاب العين (عبد)

(٤) سورة يوسف آية : ٤٠ ، وسورة الإسراء آية : ٢٣ .

ولفظ (العَبْد) أبلغ من لفظ (العَابِد) لأنّ العبادة قد يصرفها الإنسان بجهله لغير الله تعالى، وأَمَّا (العَبْدُ) إذا أضيف إلى الله فهو أعَمّ ، يقال : عبد الله ، وعبدٌ لله ، وعبيد الله [١] ، وهي إضافة شرف على نحو قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ [٢] .

ولو كان هناك ما هو أشرف من تذلل العبودية إلى المولى عزّ وجل لَمَدَحَ الله تعالى به أنبيائه ، ولذا قال في (داود) عليه السلام: ﴿ عَبْدَنَا ﴾ أي الذي صَدَقَ في عبوديته وتوحيده لنا [٣].

. ثم وصف تعالى داود عليه السلام (بالقوة) في قَوله : (ذَا الْأَيْدِ):

واليَد في اللغة : تطلق على القُوّة ، يُقال : تأيّد الشيء أي: تقوّى ، ورجلٌ أَيِّدٌ أي : قويٌ [٤]، وقوله : في داود عليه السلام (ذَا الْأَيْدِ) أي صاحب القُوة والشِّدة ، وذلك بالنسبة للبشر[٥]، قال الإمام الرازي[٦] : والأَيدِي والقوة سواء ، نحو قوله:﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾[٧]، والأيدِي المذكورة هنا كالقُوة المذكورة في قوله :﴿

(١) انظر : المفردات في غريب القرآن للراغب ،كتاب العين (عبد) .
(٢) سورة الإسراء آية : ١ .
(٣) انظر تفسير ابن جرير ٢٣ / ٨٦.
(٤) معجم الصحاح ، باب الدال فصل الألف (أيد) ، والمفردات في غريب القرآن ،كتاب الياء (يد) .
(٥) انظر : تفسير ابن جرير ٨٦/٢٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣٢٣/٤ ، ومعالم التنزيل ٥٩١/٤ .
(٦) هو: أبو عبد الله محمد الحسن البكري الرازي ، إمام ، ومفسر من طبرستان ، توفي عام (٦٠٦هـ) انظر : لسان الميزان ٤٢٦/٤ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٣٣/٥ .
(٧) سورة الذاريات آية : ٤٧ .

﴿ يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ ﴾ (١) أي باجتهاد في أداء الأمانة ، و تشددٍ في القيام بالدعوة ، وترك إظهار الوهْن والضَّعف(٢).

ثم اختلف المفسرون في طبيعة قوته عليه السلام المذكورة هنا في هذه الآية على قولين :

أولاً : قيل المراد : القوة النفسية والإرادة الفائقة في الطاعة :

ويقصد بها القوّة في العِبادة ، حيث كان عليه السلام على أتمِّ قُوّة ، وعلى أشدِّ أنواع العبادة (٣).

وهذا ما ذهب إليه ابن عباس ، ومجاهد وقتادة والسدى (٤).

ثانياً : وقيل المراد: القوة الجَسَدِيّة :

ويقصد بها قدرته في الحروب ، قال ابن حجر: " وكان داود موصوفاً بِفرْط الشّجاعة " (٥).

وكذلك قوّة بناء جسمه عليه السلام ، ويظهر ذلك في قتله(لجالوت) (٦)، و قدرته على صناعة

الدروع من زَرَدِ الحديد، وشدته في الملك(٧).

---

(١) سورة مريم آية : ١٢ .

(٢) التفسير الكبير ١٨٤/٢٦ .

(٣) انظر : تفسير ابن جرير ٨٦/٢٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣٢٤/٤، ومعالم التنزيل ٥٩١/٤، والكشاف ١١٩/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٥٨/١٥ ، والتفسير الكبير ١٨٤/٢٦ ، وفتح القدير ٤٢٧/٤، ومدارك التنزيل على هامش تفسير الخازن ٣٢/٤.

(٤) قتادة هو : أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي البصري مفسر وحافِظ ، ضرير أكمه ، أحفظ أهل البصرة بالحديث ، توفي عام (١١٨هـ) انظر : تذكرة الحفاظ ١١٥/١ .

(٥) فتح الباري ٤٥٦/٦ ، وابن حجر هو: أحمد بن علي بن محمد شهاب الدين ، أبو الفضل الكناني العسقلاني ، المشهور بابن حجر ، من أوائل حفاظ القرآن والحديث ، له في الأدب والفقه وأصوله والنحو واللغة ، له مصنفات عدة ، ولد بمصر ، توفي عام (٨٥٢ هـ) انظر : الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر :١٠١-١٢٠ ، والدرر الكامنة : الخاتمة .

(٦) جالوت هو : أحد ملوك الكنعانيين من عمالقة فلسطين ،كان ملكه مابين مصر وفلسطين، تولى الملك على بني إسرائيل ، اشتد عليهم بطشه ، قُتل على يد داود ﷺ. انظر : تاريخ الطبري ١ / ٤٦٧ .

(٧) انظر: البحر المحيط ٣٩٠/٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٥٨/١٣

الترجيح بين الأقوال :

ذهب الكثير من المفسرين [١] إلى القول الأول من أن المراد بالقوة هنا : القوة في العبادة ، حيث إن المَقام فيه ذكر للعبودية ، كما أنّ الجملة أتت بعدها مُعَلّلة فِعْله عليه السلام بقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ ، ففي التعبير بقوله: ﴿ عَبْدَنَا ﴾ ووصفه بأنه ﴿ أَوَّابٌ ﴾ دلالة على كثرة عبادته و وفور طاعته. [٢]. وعليه لا يحسُن التعليل لو حُملت القوى على قوة الجسم .

والمتأمل في هذين القولين يرى إمكانية الجمع بينهما ، حيث لا يوجد مانعٌ من الأخذ بِهما على اعتبار أنه عليه السلام مع قوة عبادته فهو كان قَوِيّاً في بدنه ، لأن جميع توجيهات حياته عليه السلام تشير إلى ذلك من طريقة صيامه وقيامه ومشاركته في الحروب وعمله الذي اختص به.

. ثم وصفه تعالى بصفة أخرى يُحبها الله من عباده حيث قال : ﴿ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ :

وفي اللغة : الأوّاب : التّائِب ، والمآب : المَرْجِع ، يُقال : آب إلى الله : إذا رجِع عن ذنبه وتَاب ، و﴿أَوَّابٌ﴾ صِيغة مبالغة أي : كثير الرُّجوع [٣].

قال الرّاغب : " والأَوْبُ : ضَرْب من الرّجوع ، وذلك لا يقال إلاّ في الحيوان الذي له إرادة ، والأوّاب كالتّواب ، وهو : الراجِع إلى الله تعالى بترك المعاصي وفِعْل الطاعات ، ومنه قيل للتّوبة : أَوْبَة " [٤].

وقد وردت صفة (الأوّاب) في القرآن لثلاثة فقط من الأنبياء عليهم السلام وهم :

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير ٨٦/٢٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣٢٣/٤، ومعالم التنزيل ٥٩١/٤، والكشاف ١١٩/٣، والجامع لأحكام القرآن ١٥٨/١٥ ، والتفسير الكبير ١٨٤/٢٦، وفتح القدير ٤٢٧/٤ .

(٢) انظر : روح المعاني ٧٣/٢٣ .

(٣) المفردات في غريب القرآن كتاب الألف (أوب) .

(٤) المرجع السابق ، والراغب هو : أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني (بالباء أو الفاء) الملقب بالراغب ، من أكبر حكماء وعلماء أصبهان ، سكن بغداد ، مختلف في وفاته ، وقيل سنة (٥٠٢هـ) انظر : بغية الوعاة ٢/ ٢٩٧ ، و سيرأعلام النبلاء ١٢٠/١٨ .

(داود) في قوله تعالى:﴿ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾، و(سليمان) في قوله عزّ وجــل: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾[١]، و(أيــوب) في قوله: وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ [٢]

وقد اختلف المفسرون في المراد من معنى الآية :

فقيل : إنه كان مُطيعا لله كثير الصلاة ، وهذا ما ذهب إليه ابن عباس وقتادة وابن زيد، وقيل : كان رجّاعاً عن الذنوب ، أي كلما ذكر ذنبه أو خطر على باله ذنباً استغفر منه ، وهو قول : مجاهد ، وذهب سعيد بن جبير إلى أنه كان مُسبّحاً، وعن الضحاك : كان ثوّابًا[٣].

. ثم وصفه تعالى في موطن آخر بصفتي الاستغفار والإنابة ، قال عزّ من قائل :

﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾[٤] .

الاستغفار من الغَفْر ، وهو لغة : السّتر والتغطية [٥]. ويُراد به : طلب التجاوز عن الذنوب وعدم المؤاخذة بها ، ويكون باللّسَان والفِعال[٦].

---

(١) سورة ص آية : ٣٠ .

(٢) سورة ص آية : ٤٤ .

(٣) انظر : تفسير ابن جرير ٨٦/٢٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣٢٤/٤، وإعراب القرآن للنحاس ٤٥٨/٣، وتفسير ابن أبي حاتم ٣٢٣٧/١٠ ، ومعامل التنزيل ٥٩١/٤ ، والبحر المحيط ٣٩٠/٧. وسعيد : هو أبو عبد الله سعيد بن جبير الأسدي ، تابعي ، أخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر، توفي عام (٩٥هـ) انظر: تهذيب التهذيب ١١/٤ ، وأما الضحاك فهو : أبو القاسم الضحاك بن مزاحم البلخي الخرساني ، كان مفسراً ومؤدباً ، توفي سنة (١٠٥هـ) انظر : ميزان الاعتدال ٤٧/١ .

(٤) سورة ص آية : ٢٤ .

(٥) معجم المصباح المنير كتاب الغين ، باب الغين مع الفاء وما يثلثهما (غفر الله) ، ومعجم الصحاح باب الراء فصل الغين (غفر) .

(٦) انظر : المفردات في غريب القرآن ، كتاب الغين (غفر) .

ـ وفي سبب استغفار داود عليه السلام في هذه الآية ، اختلف المفسرون وتعددت أقوالهم[(١)]:

فَمِن قائل إنه اسْتَغْفَر لنفسه من ذنبه[(٢)]، ومنهم من قال : استغفَر لقومه لأنه وَرَدَ في

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير ٩٢/٢٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٣٢٣٨/١٠ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣٢٧/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٨٠/١٥ ، وتفسير الخازن ٣٧/٤ ، وتفسير البيضاوي : ٦٠١ .

(٢) في قوله تعالى :﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ سورة ص آية :٢١. ٢٥ ، ذكر بعض المفسرين في سبب استغفاره عليه السلام أقوالاً لا تليق بمقام النّبوة شرعاً ونقلاً وعقلاً ، كما ورد في قصة : (الخصمان اللذان تسورا المحراب ، طلباً للفُتية في شأن البغي الواقع من أحدهما على الآخر، في سؤاله بضم نعجة خصمه إلى نعاجه التسع والتسعين) فإنّ غالب ما رُوي في هذه القصة مأخوذ من الإسرائيليات ، ولم يثبت فيها شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأرى أنه لا تقوم الحاجة هنا بذكرها، وذلك على نحو ما رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٢٣٩/١٠ ، من طريق يزيد عن أنس رضي الله عنه . ويزيد هو : أبو عمرو يزيد بن أبان الرقاشي ، القاص من زهاد أهل البصرة ، من صغار التابعين ، ضعفّه أهل الحديث قال عنه النسائي : متروك، وقال الدار قطني : ضعيف. انظر : ميزان الاعتدال ٤١٨/٤، وطبقات ابن سعد ٢٤٥/٧ .

وقد أنكر كثير من المفسرين هذا القصص عن داود عليه السلام. قال ابن حبان : "ويعلم قطعاً أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الخطايا، لا يمكن وقوعهم في شيئ منها ، ضرورة أن لو جوزنا عليهم شيئا من ذلك بطلت الشرائع ، ولم نثق بشيء مما يذكرون أنه أوحى الله به إليهم ، فما حكى الله تعالى في كتابه يَمُرُّ على ما أراده الله تعالى ، وما حكى القصاص مما فيه غَضٌّ عن منصب النبوة طرحناه " البحر = ==المحيط ٣٩٣/٧ ، وقال الرازي : "والذي أدين به وأذهب إليه أنّ ذلك باطل ، وأن هذه الرواية لا تليق بحق نبي " التفسير الكبير ١٩٣/١٨٩/٢٦. وقال الجصاص : " وما رُوى من أخبار القُصّاص .. فإنه وجه لا يجوز على الأنبياء" أحكام القرآن ٣٧٩/٣ ، وذكر القرطبي عن ابن عباس قوله : " قد جاءت أخبار وقصص في أمر داود عليه السلام، وأكثرها لا يصح ، ولا يتصل إسناده ، ولا ينبغي أن يجترأ على مثلها إلاّ بعد المعرفة لصحتها " الجامع لأحكام القرآن ١٧٥/١٥ ، وقال ابن العربي : " إن هذا النص لم يثبت ولم يُعّول عليه" أحكام القرآن ٣٧/٤ ، وقال الخازن : " واعلم أن من خصّه الله تعالى بنبوته ...لا يليق أن ينسب إليه ما لو نُسب إلى أحاد الناس لاَستَنْكَف أن يُحدَّث به عنه " تفسير الخازن ٣٥/٤ ، قال ابن كثير :" فالأولى أن يقتصر في هذه القصة على مجرد تلاوتها ، وأن يُرد علمها إلى الله عز وجل ، فإن القرآن حق" تفسير ابن كثير ٤٧/٤ .

القرآن أنّ الأنبياء يستغفرون للمؤمنين على نحو قوله تعالى :﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (١) وقوله عز وجل : ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (٢).

وأرى . والله أعلم :

سواء أكان استغفاره عليه السلام لنفسه أم لغيره فليس من الحِكمة أن نجرى وراء أسبابه ، حيث إنّ القرآن لم يُصرّح بذلك ولم يُشر إليه ، ولا توجد دلالة على تلك التفصيلات ، فالأولى في ذلك الترفّع والبُعد عن دقائق هذه الأخبار المُحْجَم عنها في الكتاب والسنة ، ونستهدي بما هو واضح وصريح في ظاهر النص.

قوله تعالى: ﴿ وَخَرَّ رَاكِعًا ﴾ :

أي سأل داود ربه غفران ذنبه ، وخرّ ساجدا لله تعالى ، ، وأشار ابن العربي (٣) : إلى أنه لا خلاف بين جمهور المفسرين (٤)على أن المراد بالركوع هنا ، السجود، لأنّ السجود هو: الميل ، والركوع هو : الانحناء فكل واحد يدل على الآخر(٥) ، و لأن الخرور لا يكون إلاّ للسقوط على الأرض ، ولأن النبي فسّره بالسجود فيما روي عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ سجد في (ص) وقال : (سَجَدَهَا دَاودُ تَوْبَةً ونَسْجُدُهَا شُكْراً) (٦).

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٥٩ .

(٢) سورة يوسف آية : ٩٧ .

(٣) هو : محمد بن عبد الله بن محمد المعافري المالكي أبو بكر المعروف بابن العربي ، قاضٍ من حُفّاظ الحديث ، والأدب ، له في الحديث والفقه والأصول مؤلفات ، وهو آخر علماء الأندلس وأئمتها وحفاظها توفي عام (٥٤٣هـ) انظر : وفيات الأعيان ٤٨٩/١ ، والوافي بالوفيات ٣٣٠/٣ .

(٤) انظر : تفسير ابن جرير ٩٢/٢٣، ومعاني القرآن ٣٢٧/٤ ، وأحكام القرآن للجصاص٣/ ٣٨٠، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٩٩، والبحر المحيط ٣٩٣/٧ ، وتفسير الخازن٣٦/٤،والجامع لأحكام القرآن ١٨٠/١٥.

(٥) أنظر: أحكام القرآن لابن العربي ٤٠/٤.

(٦) أخرجه النسائي في سننه ٢/ ١٥٩ ، في كتاب الافتتاح ، باب سجود القرآن .

قوله تعالى : ﴿ وَأَنَابَ ﴾ :

الإنَابَة لغة : من النّوب ، وهو القُرب ضد البُعد ، ويطلق على رجوع الشيء مرة بعد أخرى ، وأنَاب الرجل إلى الله أي : أقبل ورجع وتاب[١] ، والمراد بها : الرجوع إلى الله بالتوبة وإخلاص العمل[٢].

وقد وردت صفة (الإنَابَة) في القرآن الكريم لثلاثة أنبياء فقط[٣] وهم : (إبراهيم)عليه السلام لقوله تعالى: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ۝ [٤] ووصف تعالى سليمانعليه السلام بقوله : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۝ ﴾[٥] ثمّ بالإضافة إلى (داود) عليه السلام في قوله : ﴿ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾[٦].

وقد ذكر المفسرون في المراد من قوله تعالى في وصْف داود عليه السلام: ﴿ وَأَنَابَ ﴾ أي: رجّاع عن الذنوب ، وهذا ما ذهب إليه مجاهد ، وقال قتادة : المُطيع ، وعن السدى: هو المُسبّح[٧].

والواضح أن جميع المعاني تتضمن معنى الإنَابة في اللغة ، والتي تعود إلى الرجوع إلى الله تعالى ورضاه بالطاعة ، كما أنّ المتأمل في الآية ، يجد أن الله تعالى وصف طريقة إنابَتِه

(١) انظر : لسان العرب باب النون (أناب) ، ومعجم الصحاح باب الباء ، فصل النون (نوب) ومعجم المصباح المنير كتاب النون ، باب النون مع الواو وما يثلثهما (نابا) وبصائر ذوي التمييز ١٣١/٥ .

(٢) المفردات في غريب القرآن كتاب النون (نوب) .

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، باب الهمزة (أناب)

(٤) سورة هود آية : ٧٥ .

(٥) سورة ص آية : ٣٤ .

(٦) سورة ص آية : ٢٤.

(٧) تفسير ابن جرير ٩٢/٢٣

عليه السلام بأشرف السُّبل وأقربها إلى الله تعالى وذلك بقوله : ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ فسجد عليه السلام لله تعالى شكراً راجياً إليه بالتوبة والطاعة له.

ـ ثم ذكر تعالى مكانته عليه السلام في الآخرة مبيناً منزلته ، وهذا كمال الكرم الإلهي. فقال تعالى :﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾[٨] .

والزُّلْفى لغة : القُربة ، والمنزِلة والحَظْوة [٩]، والمآب : من الأَوْب وهو الرّجوع ، يقال : آب أوْباً وإياباً ومآباً ، على نحو قوله تعالى:﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾[٣] ، وقوله: فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ [٤] ، وهو اسم يُطلق على الزمان والمكان[٥].

والمراد بالزُّلفى عند المفسرين : الدُّنو من الله تعالى يوم القيامة ، وحُسن المآب: حُسن المَرْجِع إليه ، وحُسْن المصِير، وهذا ما ذهب إليه ابن عمر و مجاهد و قتادة والسدي [٦] ، قال ابن كثير : " إنّ له يوم القيامة لقُربة يقرّبه الله عز وجل بها ، وحُسْن مرجع ، وهو الدرجات العالية في الجنة لتوبته وعدله التام في مُلْكِه "[٧].

لطيفة في هداية هذه الآيات :

والمتأمل في هذه الآيات السابقة يسترشد منها بهدايات عدة :

---

(٨) سورة ص آية : ٤٠ .

([٩]) انظر : معجم المصباح المنير كتاب الزاي ، فصل الزاي مع اللام وما يثلثهما (الزلفة) ، والمفردات في غريب القرآن كتاب الزاي (زلفى) .

([٣]) سورة الغاشية آية: ٢٥ .

([٤]) سورة النبأ آية : ٣٩ .

([٥]) انظر : لسان العرب (أوب) ، والمفردات في غريب القرآن ، كتاب الألف (أوب) .

([٦]) انظر : تفسير ابن جرير ٩٧/٢٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٤٦١/٣ ، ومعالم التنزيل ٥٩٩/٤ ، وفتح القدير ٤/،٤٢٧ والجامع لأحكام القرآن ١٨٤/١٥، وتفسير البيضاوي : ٦٠٢ .

([٧]) تفسير ابن كثير ٤٩/٤ ، وهو: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصري ، حافظ ومؤرخ وفقيه ، له مصنفات عدة ، توفي عام (٧٧٤هـ) انظر : شذرات الذهب ٢٣١/٦.

١ـ أن داود عليه السلام كان أَعْبَدَ النّاس : فكانت عبوديته عليه السلام لله تعالى تتمثّل في عظيم الطاعات والقُربات ، حتى أنه ﷺ وصفه بأنّه (أَعْبَدَ النَّاسِ) فكان يُؤدي من الصيام أفضله، قال ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص: (فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ نَبِيَّ الله " ﷺ " فَإِنَّه كَانَ أَعْبَدَ النَّاسِ، ... كان يَصُومُ يَوْماً وَيُفْطِرُ يَوْماً) [١].

وقد أَشَاد بذلك ﷺ فقال: (فَصُمْ يَوْمَاً وَأَفْطِرْ يوماً ، فذلك صِيَامُ دَاوّدَ عليه السلام وَهو أَفْضَلُ الصِّيَام) [٢].

ووجه الأفضلية هنا :

ولعلنا نُدرك من الحديث أفضلية صيام داودعليه السلام على صيام الدهر ،حيث إنَّ صيام الدهر يُضِيع الكثير من الحقوق ، ومنها ضعف البدن والشهوة ، وقِلّة الحاجة إلى الطعام والشراب بالنهار، ، قال ﷺ: (فَإِنْ فَعَلْتَ ذَلِك هَجَمَتْ عَيْنَاك وَنَفَهَتْ نَفْسُك) [٣]، وهذا بخلاف صوم داود عليه السلام فهو متنقِّل ما بين الصوم والإفطار، وهذا مما يُقوّي البَدَن ، فيُعطي للنفس فطرها وصومها ، وشكرها وصبرها [٤] ، فضلاً عن أن صلواته عليه السلامكانت أفضل الصلوات .

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له : (أَحَبُّ الصّلاةِ إلى اللهِ صلاةُ داودَ عليه السلام، وَأَحَبُّ الصّيامِ إلى اللهِ صِيامُ دَاوّدَ ، وكانَ يَنَامُ نِصْفَ الليلِ ويقومُ ثُلُثَهُ ، وَيَنَامُ سُدُسَه) [٥]، والمعنى : إن أفضل صلاة الليل صلاة نبي الله داود عليه السلام، حيث كان أوّلاً ينام نصف الليل (بعد صلاة العشاء إلى النصف الأول من

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٨/٤٢ ، في كتاب الصيام و باب النهي عن صوم الدهر.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم ، باب صوم الدهر، حديث رقم : (١٩٧٦) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٨/ ٤٦ في كتاب الصيام ، باب النهي عن صوم الدهر ،و معنى(هجمت عيناك أي : غارت ونهكت ، وقوله : (ونفهت نفسك) أي : أُعَيت .

(٤) انظر : مختصر منهاج القاصدين : ٤٦.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التهجد ، باب من نام عند السحر ، حديث رقم : (١١٣١) ،

الليـل) ثم يقـوم النصـف الثـاني قـدر ثلثـه ، ثم ينـام بقيـة الليـل إلى طلـوع الفجـر وهـو السُّدس الأخير .

قال الحافظ بن حجر : وإنما كان ذلك أَرْفق لأنّ النّوم بعد القيام يُريح البَدَن ، ويذهب ضرر السهر وذُبول الجِسْم [١].

٢. الترغيب في التوبة والإِنَابَة : وهذا على نحو حديث النبي ﷺ: (واللهِ إِنّي لَأَسْتغفرُ اللهَ وَأَتُوبُ إليهِ في اليومِ أكثرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً) [٢]، وفي رواية عنه ﷺ : (فَإِنّي أَتُوبُ في اليومِ إليهِ مِئةَ مَرّةً) [٣]

٣. إن الإِنَابَة منزلة بعد التوبة : وقد أشار ابن القيم إلى أنّ الإِنَابَةَ تتضمن أربعة أمور: المحبة لله ، والخضوع له ، والإقبال عليه ، والإعراض عمّا سواه، وقال : " ولا يستحق اسم (المنيب) إلا من اجتمعت فيه هذه الأربع " [٤].

وأما التوبة فتتضمّن ثلاثة أمور: المعرفة بالذنب ، والاعتراف به ، وطلب التّخَلُّص من سوء عواقبه أولاً وآخراً [٥].

٤. مشروعية سجدة (ص) : وقد اختلف العلماء فيها ، هل هي من عَزَائِم السجود؟ أم لا؟

---

(١) انظر : فتح الباري ٣/١٦ . وابن حجر هو: أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني ، من أئمة العلم والتاريخ ، له في الأدب والشعر ، برع في الحديث ، وله مصنفات عدة ، توفي عام (٨٥٣هـ) انظر: الدرر الكامنة : الخاتمة .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات، باب استغفار النبيﷺ في اليوم والليلة ، حديث رقم: (٦٣٠٧) .

(٣) أخرجه مسلم ٢٤/١٧ في كتاب التوبة ، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه.

(٤) انظر : مدارج السالكين ٤٣٤/١ ، وابن القيم هو : محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي ، أبو عبد الله شمس الدين ، اشتهر بابن القيم الجوزية لأن أباه كان قيّما على مدرسة (الجوزية) بدمشق ، تلميذ ابن تيمية، له عدة مصنفات في علوم شتى، توفي عام (٧٥١هـ) انظر: شذرات الذهب ١٦٨/٦، والدرر الكامنة٣ /٤٠٠.

(٥) المرجع السابق ١٧٥/١ .

والراجح أنها ليست من عَزَائِم السّجدات [١] ، عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنّه قال : " قرأ رسول الله ﷺ (ص) وهو على المنبر فلمّا بَلَغَ السّجدة ، نَزَلَ فَسَجَدَ ، وسجد النّاسُ معه ، فلمّا كان يوماً آخَرَ قرأهَا فلمَّا بَلَغَ السَّجدةَ تَهَيَّأ الناسُ للسجودِ ، فقال النبي ﷺ : (إنَّها تَوْبةُ نَبِي ، ولكنّي رأيتُكم تَهَيَّأْتُم للسّجود) فَنَزَلَ وسَجَدَ ، وَسَجَد الناسُ مَعه[٢] فشُرّعت اقتداءً بالنبي ﷺ خضوعاً لله " [٣].

٦ـ إنّ وصف داود عليه السلام بأعلى درجات العبودية ، لهو خير دليل على دَحْضِ أقوال المُغْرِضِيْنَ وأعداء الشريعة والدين للنيل من سيرته وإلصاق ما لا يليق بنبوته عليه السلام.

٧ـ الدعوة إلى التأسّي والاقتداء بنَهْج داوود عليه السلام ، في صومه وصلاته وتوبته وإنابته ، وهو ما رغّب فيه المصطفى ﷺ ، فيلزم من كثرة عوارضنا عن الآخرة أن نكون رجّاعين لله تعالى بالتوبة والإنابة ، فقد أثنى الله تعالى على الأوّابين ، بقوله : ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ [٤].

*****

المطلب الثاني : في مُلْكِه عليه السلام

---

(١) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣٨٠/٣ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٤٠/٤ ، وتفسير ابن كثير ٤٨/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨٣/١٥ ، وتفسير الخازن ٣٦/٤ ، وتفسير البيضاوي : ٦٠١ .
وعزائم السجدات (١٤) سجدة ، وهي سجدة : (الأعراف ، والرعد ، والنحل ، والإسراء ، ومريم ، وفي الحج سجدتان ، والفرقان ، والنمل ، و السجدة ، وفصلت ، والنجم ، والانشقاق ، والعلق) انظر : الاتقان ٢٥٣/١.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ٤٣١/٢ ، في كتاب التفسير باب تفسير سورة (ص) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٣) أحكام القرآن للجصاص ٣٨٠/٣ .

(٤) سورة الإسراء آية : ١٧ .

وفي تنصيبه عليه السلام (المُلك) قال عزّ وجل : ﴿ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ (١) والذي عليه جمهور(٢) المفسرين أن المراد بالمُلك هنا هو: مُلك (طالوت)(٣)، وقد تولاه داودعليه السلام بعد قتله (لجالوت) الذي عَظُمَ أمره مع بني إسرائيل من شدة ظُلمه وجبروته .

. وقد وصف تعالىٰ مُلك داود عليه السلام بقوله :﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ ﴾(٤) :

الواو : لعطف الجملة علىٰ ما قبلها ، وهو عطف حال علىٰ حال(١) ، وجمهور القُرّاء علىٰ قراءة التخفيف في قوله : (شَدَدْنَا)(٢) .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٥١ .

(٢) انظر : تفسير ابن جرير ٣٩٦/٢ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٤٦٤/٢ ، ومعالم التنزيل ٢٣٩/١، ومعاني القرآن للزجاج ٣٢٨/١ والكشاف ١٤٨/١ ، والتفسير الكبير ١٦٩/٦، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٥/٣ ، وتفسير الخازن ١٧٥/١ وقصص الأنبياء لابن كثير : ٥٦٣ . و قد وردت قصة تولي داود عليه السلام الملك في القرآن ، مفصّلة في كتب التفاسير ، ومختصرها : أن الله تعالىٰ بعث لبني إسرائيل (طالوت) ملكاً ، فتذمروا من ذلك وقالوا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ سورة البقرة آية : ٢٤٧. وقد رغّبهم نبيهم في ملك (طالوت) بأن يأتيهم بالتابوت الذي سبق وأن سلبه منهم العبرانيون حين أغاروا عليهم : إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ سورة البقرة آية : ٢٤٨ ، فجَهز (طالوت) لقتال العبرانيين وكان من بينهم (جالوت) وقد هابه الناس لقوته وشجاعته ، فأراد (طالوت) أن يمتحن جنوده قال تعالىٰ علىٰ لسانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ﴾ فاشتد الظمأ والتعب بالبعض فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا امتثلوا إلىٰ أمره ، فلما جاوز طالوت النهر للقاء (جالوت) هو وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ووجدوا كثرة أعدائهم وقلة عددهم قالوا: لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ فقال: ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ولمّا كان بين المحاربين (داود عليه السلام) و التقى الصّفان فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ سورة البقرة آية :٢٥١.٢٤٩.

(٣) أحد ملوك بني إسرائيل ، بعثه الله بعد أن طلب بنو إسرائيل نبيّهم أن يكون معهم ملك يقاتل (جالوت) وكان صاحب بسطة في العلم والجسم ، أقرّوا بملكه ساخطين ، خرج مع داود عليه السلام لقتل (جالوت) ، عاش في ملكه أربعين سنة ، ومات مقتولاً . أنظر : الكامل في التاريخ ١/ ١٩٢ ـ ١٩٣ .

(٤) سورة ص آية : ٢٠ .

ومعنى ﴿مُلْكَهُۥ﴾ المُلْك : بضم الميم وسكون اللام ، وجمعه (أَمْلاك) ، والفاعل منه: مَالِك

وإذا تولى السلطة سُمي (مَلِك) ، والمَلِك والمَالِك الحقيقي هو الله تعالى ، يُقال : لله المُلْكُ والمَلَكُوت أي : العِزّ والسلطان[٣].

وحقيقة المُلك : كثرته ، فقد يكون الرجل مَلِكا ، ولكنْ لا يكون ذا مُلْك حتى يكثر مُلكه[٤] ، وقال الراغب : " المُلك ضبط الشيء المتصرف فيه بالحُكم، والـمِلك كالجنس للمُلك، فكل مُلْك مِلْك ، وليس كل مِلْك مُلكاً " [٥].

وقد اختلف المفسرون في المعنى الذي شَدَّ الله تعالى به مُلك داود عليه السلام على قولين :[٦]

القول الأول : إنها أسباب دينية :

حيث مُنح عليه السلام هيبة من الناس ، والتأييد والصبر، والنصر والعون ، وقوة العزيمة والثبات ، وخذل الأعداء وقوة السّطوة ، وإلقاء الرُّعب في قلوبهم ، وهذا ما ذهب إليه ابن عباس.

القول الثاني : أسباب دنيوية:

وتتمثّل في قوة وكثرة حَرَسِه وجنوده عليه السلام، وكثرة أعوانه ومحبيه ، وهذا ما ذهب إليه السدي ومجاهد ، ورواية أخرى عن ابن عباس .

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٩.

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٤٠١/٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٤٥٩/٣ ، والبحر المحيط ٣٩٠/٧.

(٣) انظر : لسان العرب (ملك)

(٤) انظر : أحكام القرآن لابن العربي ٣٠/٤.

(٥) المفردات في غريب القرآن، كتاب الميم (ملك).

(٦) انظر : معاني القرآن للفراء ٤٠١/٢ ،وتفسير ابن جرير ٨٧/٢٣ وإعراب القرآن للنحاس ٤٥٩/٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣٢٤/٤ ،والبحر المحيط ٣٩٠/٧ ، والتفسير الكبير ٣٩٠/٧، ومعالم التنزيل ٥٩٢/٤، وقد وردت في هذا الشأن الكثير من الأقوال التي يغلب عليها الطابع الإسرائيلي . ولم أقف على صحتها ..

وما تميل إليه النفس هو: ما رجحه ابن جرير والرازي وأبو حيان والخازن[١] من القول بالجمع بين المعنيين حيث إن اللفظ أتى مطلقاً، ولمْ تُخصص الآية أي لوناً من ألوان التّشديد في الحُكم ، كما أنّ المعروف والذي لاشك فيه أن المَلِك لا يقوى مُلكه إلاَ بحرس يحفظونه ، وجنود يوالونه ويناصرونه ، مع ضرورة العزيمة والصبر والثبات ، وعدم الموالاة للأعداء.

لطيفة في هداية هاتين الآيتين :

والواقف المتأمل في الآيتين السابقتين يجد أنها تهدي لأمور عدة ، منها :

١. جَمَعَ الله تعالى لداود عليه السلام بين أمرين عظيمين ، أمر النّبوة والـمُلك ، ولم يكن ذلك

لأحد من قبله عليه السلام ، بل كان المُلك في سِبْطٍ ، والنبوة في سِبْطٍ [٢].

٢. مَلِك المُلوك هو : الله تعالى ، ومَلِك البلاد لا بدّ أن يكون واحداً من أعظم الناس أعلاهم شأنا ، وأقواهم عزيمة لأن سياسته تقوم على التصرف في البلاد بالأمر والنهي بين الأفراد[٣].

٣. إنّ تقوى الله وطاعته خير سبيل للذهاب بأهل الكبر والطغيان والجبروت .

٤. هناك فرق بين النبوة والملك :

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير ٨٣/٢٣، والتفسير الكبير ٣٩٠/٧ ، والبحر المحيط ٣٩٠/٧ ، وتفسير الخازن ٣٣/٤ ، وابن جرير هو : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري من كبار الأئمة المفسرين ، جمع العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من علماء عصره توفي عام (٣١٠هـ) ، انظر : طبقات المفسرين للداودي ١٠٦/٢، وأما الرازي فهو: أبو عبد الله محمد الحسن البكري الرازي ، إمام ومفسر من طبرستان توفي عام (٦٠٦هـ) انظر: لسان الميزان ٤٢٦/٤ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٣٣/٥ وأما أبو حيان فهو : محمد بن يوسف بن حيان ، من كبار علماء التفسير والحديث والتراجم والعربية ، له العديد من المصنفات توفي عام (٧٤٥هـ) انظر : بغية الوعاة :١٢١ ، والخازن هو: علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي علاء الدين، عالم بالتفسير والحديث ، من علماء الشافعية ، توفي سنة (٧٤١هـ) انظر : الدرر الكامنة ٩٧/٣.

(٢) انظر : معالم التنزيل ٣٥٤/١ .

(٣) انظر : المفردات في غريب القرآن كتاب الميم (ملك).

أ ـ فالنّبوة لا تورّث بين الأفراد ، لقوله تعالىٰ : ﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى﴾[١] وذلك خلاف المُلك ، فقد جرت عادة بعض الملوك توريثهم المُلك في سُلالتهم .

ب ـ كما أن النبوة لا تعطى إلا لمؤمن ، فلا تعطى لكافر ، بخلاف المُلك نحو قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ﴾[٢] .

ج ـ والنبوة خاصة بالرجال دون النّساء، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِىٓ إِلَيۡهِمۡ﴾[٣] وهذا بخلاف المُلك ، فقد ورد في القرآن قصة المَلِكة (بلقيس)[٤]،

في قوله: ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَىۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾﴾[٥]

د ـ والنبوة خاصة بميدان الدعوة للإيمان والتوحيد والدار الآخرة وإيثارَها على الدنيا، بخلاف المُلك فهو مظهر من المظاهر الدنيوية والبعد عن الزهد .

٥ـ تتجلى مهارات وقدرات الشخصية الفذَّة في شخصية داود عليه السلام ، حيث عمل على الجمع بين خصِيصتي (النّبوة والمُلك) ، والعمل على التوازي بين هذين التّكْلِيفين والتوفيق بينهما.

---

(١) سورة الدخان آية : ٣٢ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٨ .

(٣) سورة يوسف آية :١٠٩ ، وسورة النحل آية :٤٣ وسورة الأنبياء آية : ٧ .

(٤) هي بلقيس بنت الهَدْهَاذ، وقيل : الهدْهَاد بن شراحيل ، وقيل : شرحبيل بن ذي جَدَنِ بن يعْرُب بن قحطان من بني يعفر من حمير. وقع اختلاف كثير في اسمها ، ملكة سبأ ، يمانية من أهل مأرب ، آل إليها الملك بعد والدها، عُرفت بذكائها، وكان دينها وقومها (الزندقية) عبّادا للشمس ، بعث في عهدها سليمان بن داود عليه السلام،فأسلمت معه . انظر: البداية والنهاية لابن كثير٢/٣٣١،وتفسير ابن جرير١٩/٩٧.

(٥) سورة النمل آية : ٢٣ .

المطلب الثالث : في تَسخِير الجِبال والطَّير معه عليه السلام

ذكر تعالى في فضل داود عليه السلام ما خصه به من معجزات وبراهين فقال : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾[١]،

وقال عزّ من قائل: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ ﴾ [٢]،ثم قال جلّ جلاله : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ ﴾ [٣].

وهنا إشارة إلى معجزتين من معجزات داود عليه السلام:

أولهما : تسخِير الجبال معه لقوله :

﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾

والتَّسخِير في اللغة : التّذلِيل [٤] ويطلق على التكليف والحَمْل على الفعل بغير أُجرَة[٥].

والمتأمل في جميع الآيات يلحظ أن الله تعالى قد عبَّر في جانب التَّسخِير بلفظ(مع) دون

(له) .

وسرّ التعبير هنا أنّ تسخير الجبال لداود عليه السلاملم يكن بطريق تفْويض التصرف الكُلّي فيها إليه ، كتسخير الريح وغيرها (لسليمان عليه السلام) ، بل بطريقة الاقتداء به في عبادته لله تعالى، [١] ولذا لم يقل تعالى : إنّا سخرنا له ، بل قال : (معه) .

([١]) سورة الأنبياء آية : ٧٩ .

([٢]) سورة سبأ آية : ١٠ .

([٣]) سورة ص آية : ١٨ – ١٩ .

([٤]) معجم الصحاح / كتاب الراء ، باب السين (سخر) .

([٥]) النهاية في غريب الحديث والأثر ، حرف السين ، باب السين مع الخاء (سخر).

. وقد بيّن تعالىٰ صورة ذلك التسخير بقوله : (يُسَبِّحْنَ) :

أي: يُقدسن الله وينزهنه عما لا يليق به [٢]، بما يتلاءم وحال داود عليه السلام ، لذا عبّر تعالىٰ بصيغة المضارع بقوله : (يسبحن) دون اسم (مسبحات) للدلالة علىٰ التجدد وحدوث التسبيح
حالاً بعد حال ، وشيئاً بعد شيء [٣].

وقد اختلف المفسرون في المراد من تسخير الجبال (بالتسبيح) مع داودعليه السلام، علىٰ عدة أقوال:

القول الأول : إنّ تسبيحهن كان بلسان المَقَال ، وذلك نظير تسبيح الحَصَىٰ المسموع فيكفِّ النبيﷺ وحنين الجِذع [٤] ، فكان داود عليه السلام إذا ذُكر الله تعالىٰ وسبَّح سبَّحت معه الجِبال، وهو قوله تعالىٰ : ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [٥] أي : عُودي في التسبيح معه كلما عَاد فيه [٦]، حيث كان عليه السلام يفقه تسبيح الجِبال [٤] ، وعن ابن عباس وقتادة (يسبحن) أي يُصلِّين مع داود عليه السلام إذا صلىٰ [٥] .

---

(١) روح المعاني ١٧٤/٢٣ .
(٢) فتح القدير ٤٢٥/٤ .
(٣) انظر : الكشاف ٣٢٠/٣ ، والتفسير الكبير ١٨٥/٢٦ ، والبحر المحيط ٣٩٠/٧ .
(٤) انظر : دلائل النبوة ١٤٢/١ ، ١٤٣ .
(٥) سورة سبأ آية : ١٠ .
(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢٤٣/٤ .
(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٥ / ١٥٩
(٥) انظر : تفسير ابن جرير ٤١/١٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٥٩/١٥ ، وتفسير ابن كثير ٤٦/٤ .

وعن ابن إسحاق : أن داود عليه السلام قد أُوتيَ من حُسن الصوت ما يكون له في الجبال دَوِيٌ حسَن ، وهذا معنىٰ (التسبيح) هنا [٦].

القول الثاني: كان تسبيح الجبال بلسان الحَال، حيث سخرّها الله تعالىٰ لتسير مع داود عليه السلام إذا أراد سيرها وجعل ذلك تسبيحها لله تعالىٰ [٧]، وقال الجصاص : " ... فلما كان سيرها دِلالة علىٰ تنزيه الله ، جُعل ذلك تسبيحاً منها له تعالىٰ" [٨] .

الترجيح بين الأقوال :

ويبدو أنّ الراجح هو ما ذهب إليه جمهور المفسرين [٩] إلىٰ القول الأول ، من أن المراد بالتسبيح : الذِّكر ، وهو تسبيحٌ حقيقيٌّ لِدِلالة ظاهر النص عليه ، وموافقته جهة اللغة العربية .

. ثُمَّ بيّن تعالىٰ وقت هذا التسبيح بقوله :

﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ١٨ ﴾ :

ووقت (العَشِي) قيل : هو من وقت العصر إلىٰ الليل ، وهو ما بين الزوال إلىٰ الغروب[٢] ، وأما (الإشراق) : فيكون من طلوع الشمس وإضاءتها ، يقال : شرقت الشمس أي: طلعت، وأشرقت أي : أضاءت[١].

---

(٦) انظر : التفسير الكبير ١٨٥/٢٦ ، وتفسير ابن كثير ٣٠٠/٣ ، ومحمد بن إسحاق هو : محمد بن إسحاق بن بيار المطلبي ، من أقدم مؤرخي العرب من أهل المدينة ، من أشهر مؤلفاته (السيرة النبوية) توفي سنة (١٥١هـ) انظر : تهذيب التهذيب٣٨/٩ .

(٧) انظر : التفسير الكبير ١٨٥/٢٦ ، وتفسير ابن كثير ٣٠٠/٣ .

(٨) أحكام القرآن ٣٧٨/٣ ، والجصاص هو : أبو بكر أحمد بن علي الرازي ، المعروف بالجصاص ، سكن بغداد ، وامتنع عن القضاء ، عرف بالزهد والورع ، له مصنفات عدة ، توفي عام(٣٧٠هـ) انظر: الطبقات السنية في تراجم الحنفية ١/ ٤٧٧.

(٩) انظر: تفسير ابن جرير٤١/١٧، ومعاني القرآن للزجاج ٢٤٣/٤، والتفسير الكبير١٨٥/٢، والكشاف ٣٢٠/٣ ، والبحر المحيط ٧ /٣٩٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٥/ ١٥٩ ، وروح المعاني ٢٣/ ١٥٤ .

(٢) انظر : المصباح المنير ،كتاب العين باب العين مع الشين وما يثلثهما (العشي) ، وتفسير ابن جرير ٨٧/٢٣ .

وهذا ما ذهب إليه ابن عباس وابن زيد ، وقال به أكثر المفسرين [٢] ، وقيل : كان تسبيح داود عليه السلام عند طلوع الشمس ، وعند غروبها ، وهي صلاة الأمم قبلنا [٣].

ثانيا : تسبيح الطّير معه عليه السلام :

. ثم ذكر تعالىٰ معجِزة أخرىٰ من معجزات داود بقوله :﴿ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ﴾ :

الواو : لِلْعطف حالاً علىٰ حال ، والتقدير : وسخرنا الطير محشورة [٤].

والحشر لغة : الجمع مع السّوق[٥] ، قال الراغب : "الحشر : إخراج الجماعة عن مقرهم، ولا يقال إلا في الجماعة ، ويستعمل اللفظ في الإنسان وغيره [٦].

قال ابن عباس : (محشورة) أي: " مجتمعة إليه تسبح الله معه "، وعبّر بالاجتماع هنا لأن : حشرها جملة واحدة أدلُّ علىٰ قدرة الله تعالىٰ وهو الحاشر [٧].

. ثم أخبر تعالىٰ عن ذلك الحال بقوله : ﴿ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ :

([١]) معجم الصحاح باب القاف ، فصل الشين (شرق) .

([٢]) انظر : تفسير ابن جرير ٨٧/٢٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣٢٤/٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ٤٥٨/٣، ومعالم التنزيل ٥٩٢/٤ ، والكشاف ٣٢٠/٣ ، والتفسير الكبير ١٨٦/٢٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٥٩/١٥ ، وروح المعاني ٧٧٤/٢٣ .

([٣]) انظر : أحكام القرآن لابن العربي ٢٨/٤ .

([٤]) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٤٥٩/٣ ، ومعالم التنزيل ٥٩٢/٤ ، والتفسير الكبير ١٨٦/٢٦ .

([٥]) معجم المصباح المنير ،كتاب الحاء ، باب الحاء مع الشين وما يثلثهما (حشر).

([٦]) المفردات في غريب القرآن كتاب الحاء (حشر) .

([٧]) انظر : معاني القرآن للفراء ٤٠١/٢ ، ومعالم التنزيل ٥٩٢/٤، وتفسير الخازن ٣٢/٤، والكشاف ٣٢/٣، والبحر المحيط ٣٩٠/٧ ، ومدارك التنزيل على هامش تفسير الخازن ٣٢/٤ ، والدر السمين ٥٢٩/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/١٥ .

﴿ كُلٌّ﴾ قيل : أي كل واحد من داود والجبال والطَّير، وقال قتادة ، وابن زيد ، و السدي : المراد كل الطَّير [١]، وقال ابن عباس : كُلٌّ من الجبال والطَّير ، وعليه يكون مرجع الضمير في قوله : (له) على القول الأول يعود لله تعالى، ويكون المعنى : كل واحد من داود والجبال والطَّير لله (أوّاب) أي مسبِّح ، وعلى القول الثاني والثالث يكون مرجع الضمير (لداود عليه السلام) أي كل من الجِبال الطَّير مسبِّحات معه [٢].

والذي عليه أكثر المفسرين [٣] هو القول الثالث من أن المراد : كل الجبال والطَّير لداود ﴿أَوَّابٌ ﴾ ، أي مُطيع لداود رجّاع في تسبيحه ، فكلما سبّح داود جاوبته وسَبّحَتْ مُرَدِدَةً معه.

ويؤيد ذلك ما ذهب إليه بعض المفسرين[٤] ، مِن أَنّ المراد من(العِلم) في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًاۖ ﴾ [٥] أي منْطِق الطَّير ، وهو الذي بيانه في الآية التي تليها في قوله :﴿ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ [٦].

لطيفة في هداية هذه الآيات :

إنّ المتأمل في هذه الآيات يجد أنها تنطوي على العديد من الهدايات ، منها:

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير ٨٧/٢٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣٢٤/٤ ، والكشاف ٣٢٠/٣، والبحر المحيط ٣٩٠/٧ والجامع لأحكام القرآن ١٦١/١٥ .

(٢) انظر : المراجع السابقة .

(٣) أنظر: معاني القرآن للفراء ٤٠١/٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣٢٤/٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ٤٥٩/٣ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٢٨/٤، و معالم التنزيل ٥٩٢/٤٠ ، وتفسير الخازن ٣٢/٤٠ ، والكشاف ٣٢٠/٣ ، والبحر المحيط ٣٩٠/٧ ، ومدارك التنزيل على هامش تفسير الخازن ٣٢/٤ ، و الجامع لأحكام القرآن ١٦١/١٥، وغرائب القرآن على هامش تفسير ابن جرير ٨٩/٢٣ .

(٤) انظر : تفسير ابن جرير ١٨ /٨٧.

(٥) سورة النمل آية : ١٥ .

(٦) سورة النمل آية : ١٦ .

١ – إن جميع الخلق خُلقوا لعبادة الله تعالى لقوله عزّ وجل : ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ﴾ (١) .

والعبودية إما خاصّة : وهي عبادة تكليف مترتب عليها الثواب والعقاب ، كما هو الشأن في حال الإنس والجن ، وإما عبودية عامّة : فهي عبادة تسخير وقهر وغلبة ، تشمل كل أهل السموات والأرض(٢)، وهذا النوع هو المقصود من الآية ، وهو الذي خَصّ الله تعالى به داود عليه السلام بفهم عبادة الجبال والطير.

٢ . إنّ الله تعالى خَصّ داود عليه السلام، بِحُسْن الصوت في قراءته وتسبيحه ، وقد ورد في هذا الشأن مَدْح النبي ﷺ لأبي موسى الأشعري ، فقال له : (يا أبا موسى لقد أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِن مَزَامِير آلِ داوّد) (٣) .

قال ابن حجر : قال الخطابي : قوله: (آل داود) يريد (داود) نفسه ، لأنه لم ينقل أن أحداً من أولاد داود ولا من أقاربه كان أُعْطِيَ من حُسن الصوت ما أُعطى" (٤)

والمراد بالمِزْمَار : الصوت الحسن ، قال السيوطي :" شبّه حُسن صوته وحلاوة نَغَمَتِه بصوت المِزْمَار" (٥) .

٣ . إعجاز القرآن الكريم في ألفاظه وأسلوبه ، حيث ورد لفظ (أواب) مرتين في الآيات السابقة ، ولكل لفظ دلالته الخاصة به ، ففي المرة الأولى : في قوله : ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ يشير إلى مداومة داود للتسبيح ، وهي

---

(٧) سورة الإسراء آية : ٤٤

(٢) انظر : مدارك السالكين ١/١٠٥ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/٢٨ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب ، فضائل القرآن باب : حسن الصوت بالقرآن ، حديث رقم : (٥٠٤٨)

(٤) انظر : فتح الباري ٩/٩٢ .

(٥) شرح السيوطي على هامش سنن النسائي ، انظر : سنن النسائي ٢/١٨٠. والسيوطي هو : عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي ، جلال الدين إمام وحافظ ومؤرخ وأديب ، له عدة مصنفات ، توفي عام (٩١١هـ) انظر : شذرات الذهب : ٨/٥١ .

صفته التي مجّدَه الله تعالى بها، أما في المرة الثانية : في قوله : ﴿ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ تشير إلى الموافقة والترديد في التسبيح معه عليه السلام.

٤ـ أفضلية وقتي (العَشِي والإشْرَاق) لأن تخصيصها بالذكر ، يدل على اختصاصهما بمزيد من الشرف عن غيرهما من الأوقات وذلك لتعيينها للصلاة والعبادة ، ففضلاً عن أنّ في وقت التسبيح في(العشي) ما يشير إلى صلاة العصر، فكذلك نجد في الإشارة إلى وقت (الإشراق) ما يشير إلى مشروعية صلاة (الضُّحى) .

فقد رُوي عن ابن عباس ﷺ قال : (مَا عَرِفْتُ صلاة الضُّحى إلا بهذه الآية) [١] .

وفي رواية عنه : إني كنتُ لأمُرُّ على هذه الآية ﴿ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾ فأقول : أَيُّ صلاةٍ صلاةُ الإشراق ؟ فهذه صلاة الإشراق [٢] . يقصد صلاة الضُّحى .

---

(١) ذكره البيضاوي في أنوار التنزيل : ٦٠٠ ، وأورد نحوه النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٤٥٨ ، والجصاص في أحكام القرآن ٣٧٨/٣، وبين العلماء أقوال في الفرق بين صلاة الإشراق وصلاة الضحى، والراجح لا فرق بينهما فإن صلاة الإشراق تطلق على أول صلاة الضحي ، انظر : تحفة الأحوذي ١/ ٨٤٣ .

(٢) أخرجه الحميدي في مسنده ١/ ٣٣٠ ، وأخرج نحوه ابن جرير في تفسيره ٨٧/٢٣ ، و البغوي في معالم التنزيل ٥٩١/٤ ، وابن كثير في تفسيره ٤٦/٤ .

المطلب الرابع : في حِكْمتَه عليه السلام

. وصف الله تعالىٰ داود عليه السلام بقوله : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ ﴾[١]

فالواو : للعطف[٢] ، والحِكمة في اللغة : العِلْـمُ ، والحَكِيم : العالِمِ والمتقن للأمور[٣] ،

قال الراغب : " الحِكمة إصابة الحق بالعلم والعقل ، فالحكمة من الله معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحْكَام ، والحِكمة من الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات "[٤] ، وذكر الجرجاني : بأنها عِلْم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود ، بقدر الطاقة البشرية[٥]، ، أشار إلى أنها تنقسم إلى قسمين :

- حِكمة منطوق بها : وهي علوم الشريعة وطريقتها .

---

(١) سورة ص آية : ٢٠ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤٥٩/٣ .

(٣) معجم الصحاح باب الميم ، فصل الحاء (حكم) .

(٤) المفردات في غريب القرآن ، كتاب الحاء (حكم) .

(٥) التعريفات : ٩١ . والجرجاني هو : علي بن محمد بن علي ، المعروف بالشريف الجرجاني الشيرازي، من كبار علماء العربية ، له ما يزيد عن خمسين مصنفاً ، وتوفي سنة (٨١٦هـ) انظر : الضوء اللامع ٣٢٨/٥ .

• وحِكمة مسكوت عنها: وهي أسرار الموجودات والمقادير التي لا يعلم بها إلا الله تعالى(١).

والمتأمّل في التعريفات السابقة يجد أنّ لفظ (الحكمة) يتضمن معانٍ كثيرة ، منها :

العَدْل ، والعِلْم ، والحِلم ، والنُّبوة . والمعرِفة، والقرآن ، والخشية ، والفَهم ، والتَّفقه في الدِّيْن ، والإتقان في العمل ، وغير ذلك (٢).

ولفظ الحكمة الذي يتضمّن معنى (المعرفة والإتقان والفهم) ورد في القرآن على ستة أوجه (٣) ، فأتى بمعنى :

النّبوة والرسالة : نحو قوله عزّ وجل: وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ (٤).

، وأتى بمعنى القرآن والتفسير وإصابة الحق . نحو قوله تعالى : يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ (٥).

كما أنه جاء بمعنى فَهم دقائق الأمور والتفقّه في الدِّين ، كقوله تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾(٦) ، وفي موطن آخر بمعنى : السُنّة ،الوعظ والتذكير، كقوله تعالى: فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ(٧) ، كما أتى بمعنى أوامر القرآن ونواهيه كقوله تعالى: ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾(٨) ، وأخيراً

(١) انظر : التعريفات : ٩١ .
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز ٢/ ٤٩٠ .
(٣) انظر :بصائر ذوي التمييز٢ / ٤٩٠
(٤) سورة البقرة آية : ٢٥١، وانظر: تفسير ابن جرير٢/٤٠٣ ،
(٥) سورة البقرة آية : ٢٦٩ ، وانظر : المرجع السابق ٣/٦٠ .
(٦) سورة مريم آية : ١٢ ، وانظر : تفسير ابن جرير١٦/٤٢.
(٧) سورة النساء آية : ٥٤ ، وانظر : المرجع السابق ٥/ ٩٨
(٨) سورة النحل آية : ١٢٥ ، وانظر : المرجع السابق ١٤/ ١٣١ .

بمعنى الفَهم و حُجة العقل على وفق أحكام الشريعة نحو قوله:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ (١)

وعلى هذا ، اختلف أهل التفسير في معنى (الحكمة) الواردة هنا في شأن داود عليه السلام في قوله :﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ على أقوال عدة :

فعن ابن عباس أن المراد بها : الفهم ، وعن مقاتل : الفَهم والعِلم ، وعن مجاهد : الَفهم والعَقل والفِطنة ، وفي رواية أخرى له أن المراد : الشُّهود والأيمان ، وقال به شريح ، وعن قتادة أي السُّنة والعِلم والفقه ، وعن الحسن: العِلم بالقضاء ، وعن أبي العالية : العِلم بكتاب الله : وقيل : العَدْل والصواب(٢).

الترجيح بين الأقوال :

والمتأمل في هذه الأقوال يجد أن جميعها محصورة بين مفهوم العلم والفهم والعمل ، ومضمونها إصابة الحق وإتقان الأمور ، وهذا ما يفيده المعنى اللغوي .

وأرى أيضاً ـ والله أعلم ـ أن جميعها يخدم بعضها بعضا في المراد ، فليس من العدل أن نفرق بين معنى وآخر، فجميعها متممة لمصالح الدنيا والآخرة وتقوم على إتقانها،

---

(١) سورة لقمان آية : ١٢ ، وانظر ك المرجع السابق ٢٠/٤٣.

(٢) انظر تفسير ابن جرير ٢٣/٨٨ ، ومعاني القرآن للفراء ٢/٤٠١ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١٠/٣٢٣٨ ، وأحكام القرآن للجصاص ٣/٣٨٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٥/١٦٢ ، وتفسير ابن كثير ٤/٤٧ ، وفتح القدير ٤/٤٢٥.

ومقاتل هو : مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي ، أبو الحسن من أعلام المفسرين له في القراءات والتفسير مصنفات عدة حدث ببغداد ، متروك الحديث ، توفي عام (١٥٠هـ) انظر: تهذيب التهذيب ١٠/٢٧٩ ، وميزان الاعتدال ٣/١٩٦ ، وأما شريح فهو: شريح بن الحارث بن قيس الكندي أبو أمية من أشهر قضاة اليمن ، ولي قضاء الكوفة ، ثقة في الحديث ، توفي عام (٧٨هـ) انظر : حلية الأولياء ٤/١٤٤ ، ووفيات الأعيان ١/٢٢٤، وأمّا الحسن فهو : الحسن بن يسار البصري ، أبو سعيد ، تابعي فقيه زاهد ، ولد بالمدينة وسكن البصرة ، توفي سنة (١١٠هـ) انظر : تذكرة الحفاظ ١/٧١ ، وأما أبو العالية فهو: رفيع بن مهران الرياحي البصري أبو العالية مقرئ حافظ ومفسر، أدرك زمن النبوة وهو شاب ، أسلم في خلافة أبي بكر، مختلف في سنة وفاته . انظر : تهذيب التهذيب ١/٢٢٦ ، والإصابة ٤/١٤٤ .

وهي ضمن صفات جميع الأنبياء والرسل ، وتمثّل دَيْدَنَهم ومَنْهَجَهم ، وهذا ما أشار

الله تعالى إليه بقوله: ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[١] ، أي : النبوة والعلم بأحكام الله [٢].

لطيفة في هداية هذه الآية :

وحين الوقوف على قوله تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَهُ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ نجد أنها تُرشد إلى معان عدة :

١) أن مفهوم الحكمة يقوم على عدة عناصر :

- معرفة تعاليم الدين والالتزام بها والعمل بما أوصى الله تعالى به .
- الالتزام بالعدل والحق وعدم اتباع الهوى .
- الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .
- المعرفة العلمية ومعرفة أفضل الأمور ملاءمة ومصالحة .

وهذا في جملته هو مناط قوله تعالى : وَءَاتَنهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [٣]

٢) إن مفهوم الحكمة قد آتاه الله تعالى لكل نَبِيّ، وهذا لازم بالضرورة لأنّ عليه تدور معرفة مصالح العباد ، ولذا قال:﴿ وَجَعَلْنَهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَاتِ﴾[٤] .

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٦٨ .

(٢) انظر : تفسير ابن جرير١٧/ ٣٨ .

(٣) سورة البقرة آية : ٢٩٦ .

(٤) سورة الأنبياء آية : ٧٣ .

وقد وردت في شأن داود عليه السلام مرتان ، في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [١] و في قوله : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ [٢] ، فالأولى بمعنى : النّبوة ، والثانية :

بمعنى : العِلم والإتقان في الأمور .

*****

([١]) سورة البقرة آية : ٢٥١ .

([٢]) سورة ص آية : ٢٠ .

المطلب الخامس : في فَصْلِه عليه السلام للخطاب .

ـ بين الله تعالىٰ ما كان عليه داود عليه السلامفي حالة النطق واللفظ فقال جلّ وعلا :

﴿ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾:

الواو للعطف : وهي لعطف صِفة علىٰ صِفة [١] ، أي كما أن آتيناه (الحِكْمة) وكانت صفته كذلك آتيناه (فَصْل الخِطَاب) .

والفَصْل في اللغة: القَطْع[٢] ، وعند الراغب هو : إبَانَة أَحَد الشيئين من الآخر حتىٰ يكون بينهما فُرجه ، ومنه : فَصْل الحُكم أي : قَطْعه [٣] .

وقد اختلف المفسرون في المراد بفَصْل الخِطاب الوارد في الآية هنا علىٰ أقوال عدة [٤]:

القول الأول : إن المراد هو علم القضاء وفهمه والتبصّر منه بأحكامه وأحواله، وهذا ما ذهب إليه ابن عباس وابن مسعود ومقاتل ومجاهد والسدي وابن زيد.

القول الثاني : إن المراد هو: مطالبة البيّنة للمُدّعِي ، واليمِين علىٰ المُدَّعَي عليه ، (أي الشُهود ، والأيمان) وهو الفَصْل بين الحق والباطل ، وهذا ما ذهب إليه علي بن أبي طالب وأبي بن كعب وقتادة وشريح والشعبي [٥] ومجاهد .

([١]) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٤٥٩/٣ .

([٢]) انظر : معجم الصحاح باب اللام ، فصل : (الفاء) ، ومعجم المصباح المنير ،كتاب الفاء ، باب الفاء مع الصاد وما يثلثهما (فصل) ، وبصائر ذوي التميز ٩٤/٤ .

([٣]) المفردات في غريب القرآن ،كتاب الفاء (فصل).

([٤]) انظر : معاني القرآن للفراء ٤٠١/٢ ، وتفسير ابن جرير ٨٨/٢٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٣٢٣٧/١٠ ، وأحكام القرآن للجصاص ٣٨٠/٣ ، ومعالم التنزيل ٥٩٢/٤ ، والبحر المحيط ٣٩٠/٧ ، وتفسير الخازن ٣٣/٤ ، وتفسير ابن كثير ٤٧/٤ ، والكشاف ٣٣١/٣ .

([٥]) الشعبي هو : عامر بن شراحيل ، وقيل : بن عبد الله بن شراحيل الحميري الشعبي، تابعي من رجال الحديث الثقات ،كان فقيهاً وشاعراً ، توفي سنة (١٠٣هـ) انظر : تهذيب التهذيب ٦٥/٥ .

القول الثالث : هو الإيجَاز والقَصْد في الكلام ، بحيث لا يكون فيه اختصار مُخِل ولا إشبَاع مُمِل ، على نحو قوله ﷺ: (بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِم) [1].

القول الرابع : إنّ داود عليه السلام أوّل من قال : (أمّا بعد) في خِطابه بعد حَمْدَ الله والثّناء عليه ،

وذهب إلى هذا القول أبو موسى الأشعري ، والشعبي عن زياد[2].

الترجيح بين الأقوال :

وبالنظر في الأقوال السابقة نرى أن جميع الأقوال مرادها متقارب ، وأَدْعى إلى القبول، ما عدا القول الرابع ، حيث إن جميع معانيها محتمَلة ، كما أنه لا يوجد أي دلالة في الآية تدل على حصر مفهوم بعينه ، كما أنه لم يرد خَبَر ثابت عن النبي ﷺ في ذلك ، فضلاً أن جميع تلك المعاني ضرورة متطلبة في حق أي نبي من الأنبياء .

ولعل الأقرب إلى الصواب - والله أعلم - أن يقال إن داود عليه السلام أُوتى فَصْل الخِطاب في القضاء والمحاورة والخُطب والحديث وأحكام الدين ، وكل ذلك قائم على الفصل بين الحق والباطل ، وهذا ما رجحه ابن جرير والقرطبي ، والبيضاوي ، وابن كثير، [3].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد باب : قول النبي ﷺ" : نصرة بالرعب مسيرة شهر" لحديث رقم: (٢٩٧٧).

(2) زياد هو : زياد بن النضر أبو الأوبر الحارثي ، يكنى أبا عائشة ، من التابعين ، حضر صفين قال عنه الحافظ ابن حجر : " له إدراك" . انظر: الإصابة ٥٨١/١ .

(3) انظر : تفسير ابن جرير ٨٨/٢٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦٢/١٥، وأنوار التنزيل : ٦٠١، وتفسير ابن كثير ٤٧/٤ ، وروح المعاني ١٧٨/٢٣ . والقرطبي هو : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الأندلسي ، من كبار مفسرين أهل قرطبة له مصنفات عديدة توفي بمصر عام (٦٧١هـ) ، انظر : نفح الطيب ٤٢٨/١ ، والبيضاوي هو : أبو سعيد أو أبو الخير عبد الله بن أبي القاسم عمر بن محمد البيضاوي الشيرازي ناصر الدين ، تولى القضاء ، وحدث في الفقه واللغة وأصول الكلام ، له مؤلفات عدة توفي عام (٦٨٥هـ) انظر : بغية الوعاة : ٢٨٦ ، والبداية والنهاية ١٣/ ٣٠٩ .

وأرى . والله أعلم . أنّ ما ورد في الآية التي تلي هذه الآية وهي قول الله تعالى :

﴿ * وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ ﴾ [١] ، وما يبدو من ظاهر القصة ، وصريح اللفظ ، لدليل على ما رجحناه وتعزيزٌ له ، لأن الصلة كبيرة بين الآيتين السابقة واللاحقة ، و كأن المراد وآتيناه الحكمة و فصل الخطاب المبني على معرفة الفرق بين ما يتلبس في كلام المخاطبين ، والفصل بين المتشابهات في المسائل ، كما هو حادث في قصة (نبأ الخصم اللذين تسوروا المحراب) [٢] . والله أعلم .

أمّا القول الرابع : فضَعْفُه بَيِّنٌ ، وقد رفضه الكثير من المفسرين[٣]. لأن رواية الشعبي عن زياد فيها ضَعف، وقال عنه الحافظ : (له إدراك) ، ، قال الجصاص : (وليس زياد ما يُعتدّ به في الأقاويل) [٤] وأما ابن العربي: فقد اعتبر لفظ (أما بعد) خاصٌّ بالعَرَب دون العَجم ، لأن العرب كانوا يتداولُونها في خُطَبِهم [٥]، وشدّد في ذلك الإمام الرازي واعتبره قولاً بعيداً عن الصواب[٦].

لطيفة في هذه الآية :

وعند الوقوف على هذه الآية نجد أن هناك عدة هِدايات نسترشد بها ، ومنها:

١- إنّ القدرة الخطابية متطلَّب مُهم للحاكم في علم القضاء لفضِّ المنازعات والخُصومات،

لأنه أدّعى إلى إقامة الحجة والإقناع ، لما يترتب عليه من الفَهم في عِلل في الأَحْكام[٧].

([١]) سورة ص آية : ٢١ .

([٢]) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ٦/ ٣٧٢

([٣]) انظر: أحكام القرآن للجصاص ٣٨٠/٣ ،وتفسير الكبير ١٨٧/٢٦ وأحكام القرآن لابن العربي ٣٣/٣ ، وروح المعاني ١٧٨/٢٣ .

([٤]) أحكام القرآن ٣٨٠/٣

([٥]) انظر أحكام القرآن ٣٣/٣ .

([٦]) انظر : التفسير الكبير ١٨٧/٢٦ .

([٧]) انظر : الأحكام السلطانية للفراء :٣١ .

٢. إنّ القُدْرة الخَطابِية عند الحاكم هي الطريق إلى قيام العدل ووصول الحق إلى صاحبه، فلا ضياع للحقوق ، ولا إنكار للواجبات عند من يمتلك هذه القدرة [١].

٣. إنَّ فَصْل القَضاء واجب على الحاكم ، و لا يجوز له إهمال الحُكم عند الرَّفْع إليه و ترْك الفصل فيه ، وهذا يُبطل قول : إنّ النّاكل عن اليمين يُحبس حتى يقِرَّ ، أو يحلف[٢].

٤. إنَّ القضاء عِلْم مُجَرّد ، ومختلِف عن عِلم الأحكام ، وعِلم التفسير والكلام ، واللغة وغيرها من العلوم ، فقد يكون الرجل بصيراً بأحكام الحلال والحرام وليس لديه القدرة على فَصْل القضاء ، على نحو ما ورد من قول عمر ﷺ : "أَقْرَؤُنا أُبَيٌّ ، وَأَقْضَانَا عَلِيٌّ" [٣].

٥. من صور فصل الخِطاب : الكلام البليغ ، المُحَرّر المعاني ، الموجَز في تركيبه ، الذي لا يُخطئ صاحبه مَظَانّ الفَصْل والوَصْل ، والإظهار والإضْمَار ، والعطف والاستئناف والصريح والمُؤوّل، لا اختصار فيه مُخِل ، ولا إِشْبَاعَ مُمِل ، على نحو ما ورد في صفة كلام النبي ﷺ: (حُلو المَنْطِق فَصْلاً ، لا نَزْر ولا هَذْر) [٤].

*****

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) أحكام القرآن للجصاص ٣٨٠/٣ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب قوله : ما ننسخ من آية أو ننسها) حديث رقم : (٤٤٨١) .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٩/٣ في كتاب الهجرة ، باب حديث أم معبد في الهجرة . قال عنه الحاكم : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ومعنى(لا نزر ولا هذر) أي : لا قليل ولا كثير .

المطلب السادس: في عملِه عليه السلام وإتقانِه فيه .

أشار الله تعالىٰ في وقفة أخرىٰ بأن داود عليه السلام (المَلِك والنّبي) لن يَكُفّه مُلْكُه عن أن يأكل من عمل يده فقال: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ۝٨٠ ﴾[1] .

الواو في قوله : ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ ﴾ للعطف ، والضمير يعود إلىٰ داود عليه السلام .

واللّبُوس : ما يلبس[2] ، قال ابن جرير : "اللبُوس" عند العرب هو السِّلاح كُلَّه دِرعا كان أو جَوْشَناً أو سَيْفَاً أو رُمْحَاً [3]، وسُمي لبُوساً : لأنه يُلْبَس ، كالرَّكُوب هو اسم لما يُركب [4].

المراد من هذه الصنعة :

واتفق المفسرون [5] علىٰ أن المراد بهذه الصنعة هي: (صناعة الدُّروع) وهذا ما ذهب إليه قتادة ، قال ابن جرير في قوله تعالىٰ :﴿ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ ﴾ [1] أي

([1]) سورة الأنبياء آية : ٨ .

([2]) انظر معجم الصحاح ، باب السين ، فصل اللام (لبس) .

([3]) تفسير ابن جرير ٤١/١٧ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣٤٣/٤ ، والجوشن من الجوش ، وهو : الصدر ، ويطلق علىٰ وسط الليل ، وهو: لفظ فارسي يطلق علىٰ ما شابه الدرع، إلاّ أنه يلبس علىٰ الظهر ، والفرق بينه وبين الزّرَد ، أن الأخير ثوب من حديد ، وكلاهما يلبس في الحروب، انظر: معجم الألفاظ الفارسية المعرّبة : ٧٧ .

([4]) انظر : المفردات في غريب القرآن ، كتاب اللام (لبس) ، وبصائر ذوي التميز ٤١٨/٤ .

([5]) انظر : تفسير ابن جرير ٤١/١٧ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣٤٣/٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢٤٥٨/٨ ، ومعالم التنزيل ٦٥/٤، وتفسير ابن كثير ٣٠٠/٣ ، والبحر المحيط ٣٣١/٦ ،والكشاف ١٨/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٢٠/١١ ، و٢٦٦/١٤ ، وفتح القدير ٤١٩/٣ .

علمه صنعة الدُّروع [٢]، فكان عليه السلام أوَّل من سَرَدَها وحلَّقها. وإنما كانت قبل داودعليه السلام صفائح حدِيد وجامِدة ليس فيها مُرونة ، والشاهد على ذلك ما جاء من تعليله تعالى لذلك العمل وتلك الصنعة بقوله: ﴿ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ﴾ .

فاللام : للتعليل[٨] ، والمراد بالبأس هنا : الحروب والقتال [٩] .

والمعنى المراد: علّمناه صناعة الدُّروع لُتُحْرِزكم وتقيكم بأس الحروب ، فالدروع تقي ضرب

السيوف ، ورَمَيَ الرِّمَاح والسِّهام ، كما هو معروف ، وهو من أسباب النَّجاة من العدو .

. ثم بيّن تعالى الوجه المُعْجِز في تلك الصنعة فقال تعالى : ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝ ﴾ [٤]:

قال الزجاج : أي جعلناه ليّنا كالخيوط ، وعن الحسن : كالعجِين ليطاوعه في صنع الدروع[٥]، وقال الفرّاء : أُسِيل له الحديد ، وكان يعمل به ما شاء كما يعمل بالطِّين[٦]، وقيل: أُعطي من القُوّة أنه يُثني الحديد دون آلة أو أداة [٧].

([١]) سورة البقرة آية : ٢٥١ .

([٢]) تفسير ابن جرير ٢/ ٤٠٣ .

(٨) انظر: تفسير ابن جرير١٧/ ٤١ ، والبحر المحيط ٦/ ٣٣٢ .

(٩) انظر : المراجع السابقة .

(٤) سورة سبأ آية : ١٠ .

([٥]) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٤٣/٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٣١٦٢/١٠ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣٣٤/٣ والزجاج هو : أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج ، عالم باللغة والنحو، وكان يخرط الزجاج ببغداد ، توفي عام (٣١١هـ) انظر : وفيات الأعيان ١١/١ .

([٦]) معاني القرآن ٣٥٥/٢ ، والفراء هو : يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي أبو زكريا المعروف بالفراء ، أعلم الكوفيين بالنحو واللغة والأدب، يميل إلى الاعتزال ، له مصنفات عدة توفي عام (٢٠٧هـ) انظر : وفيات الأعيان ٢٢٨/٢ ، وتهذيب التهذيب٢١٢/١١ .

([٧]) انظر : معاني القرآن للنحاس ٣٣٤/٣ .

والمتأمل في جميع هذه الأقوال يُدرك أن من الصواب القول بها جميعا ، لأنها تشير إلى خوارق الأمور ، تضمينا لمعجزاته عليه السلام.

. ثم أرشد الله تعالى نبيه داود عليه السلام إلى شروط تلك الصنعة ، ومواصفاتها ، فقال تعالى : ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[1].

فأتى الأمر مِن الله تعالى لداود عليه السلامبقوله : ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ ﴾ (أنِ) مفسِّرة : والتقدير : وأمرناه أن أعمل دروع سَابِغات، وقيل: مصدرية ، والتقدير: وألنا له الحديد لعمل دروعاً سابغات[2]، و(السَّابغات) جمع سَابِغ ، وهو: الكامل الوافي ، وقولنا : أسبغ الله عليه النّعمة

أي: أتمّها وأكملها ، وأسبَغ الثّوب : أتمه وأكمله ، ومنه إسباغ الوضوء أي : إتمامه ، وسَبْغ الدِّرع : إذا طال من فوقه إلى أسفل ، والسَّابِغة : الدّرع الواسعة [3] ، قال الزجاج : السابغ : الذي يُغَطِّي كل شيء يكون عليه حتى يفضُل[4].

المراد من الآية :

اتفق المفسرون على أن المراد (بالسَّابغات) هنا: هي الدُّروع التّامات الكوامِل الواسِعَات[5]، وهي صفة غلب اختصاصها بالدروع ، فلا تحتاج إلى تقدير موصوف ، فلا يقال : (دروع سابغات) [6].

---

(١) سورة سبأ آية : ١١ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٦٧/١٤ .

(٣) انظر : معجم الصحاح باب الغين ، فصل السين (سبغ) ، انظر: معجم المصباح المنير كتاب السين ، باب السين مع الياء وما يثلثهما (سبغ) ،

(٤) معاني القرآن ٣٤٣/٤ .

(٥) انظر : تفسير ابن جرير ٤٥/٢٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣٣٤/٣ ومعاني القرآن للزجاج ٣٤٣/٤، والجامع لأحكام القرآن ٢٦٧/١٤ . .

(٦) انظر : روح المعاني ١١٤/٢٢ .

. ثم أرشده تعالى إلى شروط ذلك العمل ، وما ينبغي له من دِقَّةٍ في الصُّنْع و جَوْدَةٍ في العمل ، فقال جلّ ذكره : ﴿ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ ﴾ :

الواو: لعطف الجملة على ما قبلها ، و السَّرد في اللغة : الخَرْز في الأدِيم ، والمِسْرَد : ما يُخرز به ، ويطلق(السّرد) على خرز ما يخشُن ويغلُظ ، كنسج الدروع ، واستعير لنظم الحديد، يقال: درع مسْرُودة أي : منسُوجة ، ويراد بنسجها : تداخل الحَلَقُ بعضها في بعض، والسّرد : اسم جامع للدروع وسائر الحلق ، ويطلق على الثُّقب يقال : دِرْع مسْرُودة أي : مثقُوبة [١].

ومعنى السرد في الآية :

قال الزجاج : السَّرْد : السَّمر : أي الشّد بالمسامير [٢]، وعن قتادة والحسن ومجاهد: هو: المسامِير التي في الحَلق ، وقيل : الحَلق نفسها[٣].

وعلى ذلك اختلف المفسرون[٤] في المراد من (التقدير) المأمور به في قوله تعالى:﴿ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ ﴾ على عدة أقوال :

القول الأول : ما ذهب إليه مجاهد وابن عباس إلى أنّ التقدير في المِسمار، فيكون المراد :

لا تجعل مسْمَار الدِّرِع دقِيقاً فيتقَلْقَل ، ولا غليظاً فَيَفْصِم الحَلَق.

القول الثاني: ذهب إليه ابن زيد من أنّ التقدير متعلق بقَدْر الحَلْقة ، فيكون المراد: لا تصنعها صغيرة فتضعف فلا تقوى الدروع على الدِّفاع ، ولا كبيرة فينَال لابِسها في الحرب [١].

---

(١) انظر : معجم الصحاح باب الدال ، فصل السين والمفردات في غريب القرآن كتاب السين – كلاهما (سرد)

(٢) انظر : معاني القرآن ٤/٣٤٣ .

(٣) انظر : تفسير ابن جرير ٢٢/٤٥ ، ومعاني القرآن للفراء ٢/٣٥٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/٣٣٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤/٣٤٣ ، وتفسير ابن كثير ٣/٣٠٠ .

(٤) انظر : تفسير ابن جرير ٢٢/٤٧ ، ومعالم التنزيل ٤/٤٩٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٤/٢٦٧ .

القول الثالث : ما ذهب إليه قتادة من أنّ التقدير متعلق بثِقل الدروع، لأنها كانت قبله صفائح حديد ثقيلة ، فأُمر أن يَجمع في التقدير ما بين الخِفَّة والحَصَانة ، أي لا تقصد الحَصانة فتثقُل ، والخِفة فتُزيل المِنعة .

التزجيح بين الأقوال :

والواضح أن جميع الأقوال تشير إلى المعنى المراد ، حيث إن مضمونها جميعاً ينطوي تحت معنى التقدير والدِّقة والإتقان ، ويوافق معنى (السّرْد) في اللغة.

لطيفة في هدايات هذه الآية :

وعند الوقوف على هذه الآية نجد شمولها على هدايات عدة ، منها :

١ – إنّ هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب والدعوة إلى العمل ، مع التوكل على الله تعالى في مصدر الكسب والعيش ، فالمسلم لا يكون إلاّ كادِحاً في الأرض مستعمِراً لها ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [٢] .

٢ – إنّ نِعم الله تعالى على عباده تستوجب الشكر ، ومن هذه النعم تعلّم صنعة الدروع التي وهبها الله تعالى لداود عليه السلام ؛ لما فيها من المصالح في ميدان القتال ، ويُقاس عليها بعض الابتكارات العِلْمِية التي تعمل في صالح وسلامة البشرية ، فهي ضمن العلم المحمود، الذي لا يُستغنى عنها في قوام أمور الحياة ، فلذا يستوجب فيها الشكر لله تعالى ، **كما** أتى الاستفهام المتضمن للأمر[٣] في قوله : ﴿ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾[٤] .

(٧) انظر : المراجع السابقة . ومعنى (يتقلقل) أي : لا يستقرّ مكانه .
(٢) سورة هود آية : ٦١ .
(٣) انظر : البحر المحيط ٣٣٢/٦ .
(٣) سورة الأنبياء آية : ٨٠ .

٣ – إن القَدْر المُعجِز في صناعة الدروع لدى داود عليه السلام هو: إلانَة الحديد في يدِه ، وهوعليه السلام أوّل من ابتدع صناعتها [١] ، ثم توالت عَبْرَ الدّهر ، ولم يخضع لدراسة أو تدريب ، بل هو فتح من الله تعالى ، لقوله عزّ وجل : ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ ﴾.

٤ – إنّ العمل واتخاذ الحِرفة لا يُنقص من أهل المَناصب والوُجهاء ، وأعيان المجتمع شيئاً ، بل في ذلك

زيادة في فضائلهم ، إذ يحصل لهم التواضع والاستغناء عن غيرهم ، والكسب الحلال ؛ لقوله عليه ﷺ : (مَا أَكَلَ أحدٌ طَعاماً قطُّ خَيْراً مِن أَنْ يأكلَ مِنْ عَمَلِ يَدِه ، وإِنَّ نبيَّ اللهِ داوّدَ عليه السلام كان يأكلُ مِن عَمَل يدِه) [٢].

*****

(١) انظر : تفسير ابن جرير ٤١٠/١٧ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب البيوع ، باب كسب الرجل وعمل يده ، حديث رقم : (٢٠٧٢).

المطلب السابع : في خِلافَتُه عليه السلام .

. خاطب الله تعالى داود مفوّضاً له الخلافة في الأرض بقوله تعالى :

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [١].

والخلِيفة من الخِلافة ، وهي لغة: مصدر من خَلَف يخلُف ، إذا أتى بَعْدَ غيره[٢] ، والخَليفة عند الجوهري : هو السلطان الأعظم [٣] ، والخِلافة عند الماوردي : هي نَمَط من أنمَاط الإمَامة ؛ قال: (الإمَامة موضوعة لخلافة النُّبوة في حِراسة الدِّين وسِياسة الدنيا) [٤]. وعند ابن العربي: هي قِيام الشيء مقام الشيء ، والحُكم فيها يكون لله تعالى[٥]. وعند ابن خلدون : هي خِلافة صاحب الشّرع في حِراسة الدِّين وسياسة

([١]) سورة ص آية :٢٦ .

([٢]) انظر : اللسان حرف الخاء (خلف) .

([٣]) معجم الصحاح ، باب الفاء ، فصل الخاء (خلف)، وبصائر ذوي التمييز ٥٦١/٢ ، والجوهري هو : إسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر الفارابي الخرساني ، لغوي ونحوي ، مات قتيلاً سنة (٣٩٣هـ) انظر : النجوم الزاهرة ٤ / ٢٠٧ ولسان الميزان ١/ ٤٠٠ .

([٤]) الأحكام السلطانية : ٥ ، والماوردي هو: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي المعروف بالماوردي ، أشهر علماء البصرة ولي فيها القضاء ، له مؤلفات عدة، توفي عام (٤٥٠هـ). انظر : شذرات الذهب ٣ / ٢٨٥ وطبقات الشافعية ٣ / ٣٠٣.

([٥]) انظر : أحكام القرآن ٤٣/٤ .

الدنيا [١] ،وعند الراغب : هي النِّيابة عن الغير ، إما لِغيبة المَنُوب عنه أو لموتِه ، أو لعجْزِه ، أو تشريفاً للمستخلَف [٢].

ونلحظ أن جميع هذه التعريفات تتضمن المعنىٰ اللغوي ، وتدور حول معنىٰ النيابة عن الغير لإقامة مصالح العباد الدنيوية والأخروية علىٰ نحو قوله تعالىٰ : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ ﴾[٣].

ولما كانت خلافة الأنبياء في الأرض تفويضا من الله تعالىٰ لهم ، وبأمْرٍ من عنده ؛ لزم من ذلك أن تكون خلافتهم عليهم السلام من باب التشريف للمُستخْلَف ، علىٰ نحو ما ورد في شأن داود عليه السلام حيث إنه خَلَفَ (طالوت) في مُلْكِه بأمْرٍ من عند الله سبحانه ، لقوله : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً ﴾. فيكون المراد من الآية :

يا داود إنَّا استخلفناك علىٰ المُلك في الأرض والحُكم بين أهلها و جعلناك خليفة لِمن قبلك من الأنبياء القائمين بالحق والعدل والإنصاف[٤].

. ثم أمر تعالىٰ داود عليه السلام أن تكون خلافته مبنية علىٰ أمرين :

فقال تعالىٰ: ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ ﴾

أولاً : الحكم بالحق :

---

(١) انظر: مقدمة ابن خلدون : ١٩١ ، وابن خلدون هو: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، المعروف بابن خلدون فيلسوف ومؤرخ تونسي ، له مصنفات عدة ، توفي عام (٨٠٨هـ)
انظر : فتح الطيب ٤/٤١٤ .

(٢) المفردات في غريب القرآن ، كتاب الخاء (خلف) .

(٣) سورة النور آية : ٥٥ .

(٤) انظر : تفسير ابن جرير ٩٧/٢٣ ، والكشاف ١٢٦/٣ وإعراب القرآن للنحاس ٤٦١/٣ .

أتى الأمر هنا على الوجوب[١]، في قوله : ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾ حيث إن داود عليه السلام حاكم في الأرض بتوجيه من الله تعالى ، وأن الجاعل هو (الله تعالى) ، فلابد أن يكون الحكم بشرعه عزّ وجل مبنياً على الحق لقوله عزّ وجل : إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ [٢] .

ثانياً : النهي عن اتّباع الهوى :

ثم نهاه سبحانه وتعالى بقوله : ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ :

الواو للعطف ، واللام للنهي [٣] .

والهوى لغة : الميل والإرادة ، والجمع أهواء[٤] ، وعند الراغب : هو ميل النّفْس إلى الشهوة ، وقيل : سُمي بذلك لأنه يهْوِى بصاحبه في الدارين إلى المهالك [٥] .

والمراد من الآية :

يا داود احكم بين الناس بالعدل والإنصاف ، ولا تتبع هواك في قضائك بين الناس على الحق والعدل[٦].

والمتأمل في هذا الأمر والنهي الواردين في الآية يُدرك سِرّ التعبير بهما هنا ، فحيث إنهعليه السلام نَبِيٌ فهو معْصُوم لا يحكم إلاّ بالحق ولا يتبع الهَوى ، فأتى الأمر والنهي هنا على الأمر بالثبات والديمومة على ما هو عليه ، وفيه تنبيه لغيره عليه السلام ممن ولي أمر المسلمين[٧].

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ٣٨١/٣ .
(٢) سورة النساء آية : ١٠٥ .
(٣) انظر : روح المعاني ١٨٧/٢٣ .
(٤) انظر : اللسان حرف الهاء (هوا) .
(٥) انظر: المفردات في غريب القرآن ، كتاب الهاء (هوى)
(٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٨٨/١٥ .
(٧) انظر : البحر المحيط ٣٩٥/٧ .

قال القرطبي : "هذه الآية تمنع من حُكْم الحَاكم بعلمِه ،لأنّ الحُكام لو مُكِّنُوا أن يحكُموا بعلمهم ؛ لم يشأ أحدُهم إذا أراد أن يحفظ وليّه ويهلك عدوه إلاّ أدَّعى علمه فيما حَكم بِه" [١].

. ثم أوضح تعالىٰ ما يترتب علىٰ ذلك الاتباع ، ببيان العلة من ذلك النهي ، بقوله تعالىٰ:

﴿ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ :

الفاء للعطف ، والجملة واقعة جواباً للنهي[٢]، فيكون معنىٰ الآية :

إنّ ذلك الهوىٰ أو اتباعه قد يكون سبباً لضلالك عن دلائل الحق ومعرفتها ، لأن النفس إذا جُبِلت علىٰ ذلك صار خُلقاً لها ، فيصعب علىٰ صاحبها ردّها ، إما بعدم فهمها أو بالعمل بموجبها [٣]، أو سبباً لإضلالك عن طريق الجنة[٤].

. ولما كانت النفس نزّاعة للهوىٰ ، بيّن تعالىٰ عقوبة الضالين معللا للنهي بقوله :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾[٥].

والضلال لغة : الزلل وعدم الاهتداء [٦]، ويراد به : العدول عن الصراط المستقيم ، وتقابله: الهداية [٧] .

(١) الجامع لأحكام القرآن١٥/١٨٨ .
(٢) انظر البحر المحيط ٧/٣٩٥ ،وفتح القدير ٤/٤٢٩ ، وروح المعاني ٢٣/١٨٧ .
(٣) انظر : نظم الدرر ٦/ ٣٧٨ ، و روح المعاني ٢٣/١٨٧ .
(٤) انظر : فتح القدير ٤/٤٢٩ .
(٥) سورة ص آية : ٢٦ .
(٦) معجم المصباح المنير ،كتاب الضاد ، باب الصاد مع اللام وما يثلثهما(ضلل)
(٧) المفردات في غريب القرآن الضاد (ضل) .

فيكون المراد: إنّ الذين يُوجِدُون الضّلال ، الموجِب لاتباع الهَوىٰ ، المقتَضِي لأن يكون مُتَّبِعه ضالاً [١] ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أولئك ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ .

ومعنىٰ ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ :

قال ابن جرير: هو الشّرع والحق الذي شُرع لعباده [٢] ، والمراد به عند القرطبي: طريق الجنة[٣] ، وعند الخازن : دين الله وطريقه [٤] ، وعند الزمخشري : دلائله تعالىٰ التي نصبها

للعقول ، وشرائعه التي شرعها وأوحىٰ بها[٥].

وبالنظر في جميع الأقوال نرىٰ أنها جميعها تتضمن معنىً واحداً ، وهو اتباع الصراط المستقيم الذي جاء به الشّرع وهو الطريق الموصل إلىٰ الجنة ، ولذا ورد تكرار لفظ ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ تفخيما لأمره وتيَمّناً بذكره ، وإشعاراً بأنه الطريق المأمور به للخليقة جمعاء.

. ولمّا ذكر تعالىٰ ما يترتب علىٰ اتباع الهوىٰ من الضلال ؛ ناسب أن يذكر تعالىٰ عقوبة الضالين بقوله : ﴿عَذَابٌ شَدِيدٌۢ﴾ :

أي : لهم عذاب شديد في النار بسبب ضلالهم[٦].

---

(١) انظر : نظم الدرر ٦/٣٧٨

(٢) انظر : تفسير ابن جرير ٢٣/٩٧ .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٥/١٨٩ .

(٤) انظر : تفسير الخازن ٤/٣٨ .

(٥) الكشاف ٣/٣٢٦ ، و الزمخشري هو : أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري ، برع في الأدب والنحو واللغة معتزلي ، توفي عام (٥٣٨هـ) انظر : طبقات المفسرين للسيوطي : ١٢٠ .

(٦) انظر : نظم الدرر ٦/ ٣٧٨ .

ثم بيّن تعالى السبب الرئيس لتلك العقوبة بقوله : ﴿ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴾ :

فالباء : سببية ، والنسيان لغةً : الترك[١] نحو قوله : نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ [٢] أي: تركوا طاعة الله فتركهم ، والمراد هنا : المنافقون [٣].

وشرعاً : هو ترك الإنسان ضبط ما اسُتودِع ، إما لضعف قلبه ، وإما من غفلة ، وإما عن قصد ، حتى ينحذف عن القلب ذكره [٤].

والمراد بقوله :نَسُواْ ٱللَّهَ :

قال السدى والزجاج : بتركهم العمل لذلك اليوم صاروا بمنزلة النَّاسِين [٥] ، وعن عكرمة : في الآية تقديم وتأخير، تقديره : لهم يوم الحساب عذاب شديد (بما نسوا) أي : تركوا القضاء بالعدل [٦].

الترجيح بين الأقوال :

والواضح أن القول الأوّل أولى بالترجيح ، حيث إن اللفظ عام وصريح ولا حاجة للتأويل، فالعبرة بعمومه [٧].

فيكون المراد من الآية :

ثُبوت العذاب لأولئك الضالين، الذين كان ضلالهم بسبب نِسْيانهم ليوم الحساب، لأنهم عاملُوه مُعامَلة المَنسِي ، بعضُهم بالإنكار، وبعضُهم بخبِيث الأعمال [١] ، وهذا تذكير لهم ؛ لأن الحساب مُقدِّمَة لِفَصْل القضاء المترتِّب عليه الجزاء.

---

(١) معجم الصحاح باب الياء ، فصل النون (نسا) .

(٢) سورة التوبة آية : ٦٧

(٣) انظر : معالم التنزيل ٧٨/٣ .

(٤) المفردات في غريب القرآن ، كتاب النون (نسي)

(٥) انظر : تفسير ابن جرير ٩٧/٢٣ والجامع لأحكام القرآن ١٨٩/١٥ .

(٦) انظر : معالم التنزيل ٦٠٢/٤ ، وعكرمة هو : أبو عبد الله بن عبد الله البربري مولى عبد الله بن عباس تابعي من أعلم الناس بالتفسير توفي سنة (٦٤٥هـ) انظر : تهذيب التهذيب ٢٦٣/٧ .

(٧) انظر : فتح القدير ٤٣٠/٤ .

لطيفة في هدايات الآية :

وحين الوقوف والتأمل في هذه الآية نسترشد منها بما يلي :

١- إنّ هذه الآية تعتبر أصْلٌ من أصول الأقْضِية ، وقد ذكر القرطبي في هذه الأصول أربع آيات[٢] ، وهي :

قوله تعالى: لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ[٣] ، وقوله عزّ وجلّ : وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴿ ﴾[٤]، وقوله تبارك و تعالى : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ ﴾[٥] ، وقوله جلّ جلالُه:يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ[٦] .

٢- قال الحسن : " إن الله أخذ على الحكام ثلاثاً" [٧] أي ثلاثة أمور لقيام الحُكم الحق ، وهي : ألاّ يتبعوا الهوى ،على نحو ما ورد في خطابه تعالى لداود عليه السلام: ﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾[٨] ، و ألاّ يخشوا أحداً إلا الله ، و ألاّ يشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً ؛ لقوله جلّ جلاله : إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا

---

(١) انظر : نظم الدرر ٦/٣٧٩ ، و البحر المحيط ٧ /٣٩٥ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٥/١٨٩ .

(٣) سورة ص آية : ٢٦ .

(٤) سورة المائدة آية : ٤٩ .

(٥) سورة النساء آية : ١٠٥ .

(٦) سورة المائدة آية : ٨ .

(٧) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣/٣٨١ .

(٨) سورة ص آية : ٢٦

ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًاۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[١].

٣- إنّ قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً ﴾ ، فيه الدِلالة القطعية على احتياج الأرض إلى خليفة يحكم بشرع الله ، قال أبو حيان: " ولا يلزم ذلك من الآية بل لزومه من جهة الشّرع والإجماع لقوله تعالى: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ ﴾[٢] ولإجماع الأمة على ضرورة حِفظ مصالح العباد[٣].

٤- إن الله تعالى جعل الاستخلاف في الأرض إمّا عامّاً لجميع خلقه[٤] ، نحو قوله تعالى ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾[٥]، وإمّا استخلافاً خاصّاً لأنبيائه ورسله، نحو قوله : " إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ "[٦] .

٥-. إنّ الحُكَّام المُضِلّين عن سبيل الله ، والمُتّبعِين لأهوائهم . بتركهم القضاء العدْل . لهو سبب مُوجِب لهلاكهم ، وهذا بخلاف المتّبِعين لشرع الله ، والذين قال تعالى في حقهم:

([١]) سورة المائدة آية : ٤٤ .

([٢]) سورة النساء آية : ٥٩ .

([٣]) انظر : الأحكام السلطانية للماوردي : ٥ والأحكام السلطانية للفراء : ١٩ .

([٤]) انظر : المراجع السابقة .

([٥]) سورة يونس آية : ١٤ .

([٦]) سورة ص آية : ٢٦ .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ﴾ [١].

٦ـ جَمَعَ الله تعالى لداود عليه السلام بين عُلوم شَتّى، لقوله تعالى :﴿ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ ﴾ [٢] كَعِلْم

القضاء وأحكام الدين ، ومصالح وإدارة المُلْك ، ودِقة صنعة الدروع [٣] .

٧. إنّ استخلاف داود عليه السلام من قِبل الله تعالى ، لهو أقوى الدلائل على فساد قول القائلين بالقصص المحرّف والأكاذيب الباطلة ، التي ألصقوها به عليه السلام ، لأن من البعيد بعداً تامّاً أن يُوصَف الرجل بكونه سَاعِياً في الفساد وفي سفك الدماء ، راغباً في انتزاع حقوق الآخرين ، ثم يُفوضه الله تعالى الخِلافة في الأرض [٤] ، بل إنّ ذلك التّفويض له من قِبل الله تعالى يدل على مكانته عليه السلام عند الله تعالى واصطفائه له بما يتناسب ومنصب نبوته.

– انتهت –

والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

الخاتمة

([١]) سورة الأنعام آية : ٩٠

([٢]) سورة البقرة آية : ٢٥١ .

([٣]) انظر : تفسير ابن جرير ٤٠٣/٢ .

([٤]) انظر : التفسير الكبير ١٩٩/٢٦ .

فبعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم ، أحمده تعالى أن منّ عليّ بإتمام هذه الدراسة ، والتي خلُصت منها بنتائج عدة من أهمها :

١. إن حياة النبي داود عليه السلام سِجل حافل من المبادئ ، والتعليمات ، والأسس ، والدروس الدينية والعلمية والعملية والاجتماعية والسياسية .

٢. يعتبر داود عليه عليه السلام أعْبد الناس ، لأن صيامه وقيامه أفضل الصيام والقيام .

٣. هناك فرق بين الإنابة والتوبة ، فالإنابة منزلة بعد التوبة .

٤. مشروعية سجدة سورة (ص) ، وصلاة الشروق (الضحي) .

٥. هناك فرق بين النّبوة والمُلك ، فالأولى: لا تورّث ولا تعطى إلاّ لمؤمن ، وهي خاصة بالدعوة إلى الله ، وخاصة بالرجال دون النساء ، أما المُلك فعكس ذلك .

٦. ورد لفظ (الحِكمة) في القرآن وقوامه المعرفة بالدِّين ، والالتزام بالعدل ، ويُراد به عدة معانٍ ، وتطلق في حق داود عليه السلام بمعنى : النبوة ، والعلم والإتقان في الأمور .

٧. إنّ القُدرة الخَطَابية صفة مهمة للحاكم ، لأنها تعمل على تحقيق العدل بين الأفراد .

٨. إنّ عِلم القضاء عِلْم مجرّد يختلف عن بقية العلوم ،ويَحْسُن لصاحبه أن يكون بليغ الكلام فصْل، لا نَزْر ولاَ هَذْر .

٩. الدّعوة إلى العمل واتخاذ أسباب الصنائع ، وإنْ كان من أهل المناصب والوجهاء فلا ينقص منهم شيئا .

١٠.من معجزات داود عليه السلام تسخير الجبال معه والطير وإلانة الحديد له .

١١.إن داود عليه السلام يعتبر الرّائد الأوّل في صناعة الدروع ، فينبغي التأسي به في السعي لما ينفع البشرية من علوم وابتكارات لصالح المجتمعات .

١٢.دعوة القرآن الكريم إلى الجودة والإتقان في العمل.

١٣.استخلاف الله تعالى لأنبيائه في الأرض لا يأتي إلاّ على سبيل التشريف لهم والرِّفعة.

١٤.إنّ استخلاف داود عليه السلام من قِبل الله تعالى لهو أقوى الدلائل على بطلان وفساد قول بالقائلين بالقصص المحرّف والأكاذيب الباطلة ، التي ألصقوها به عليه السلام ،لأن الله تعالى اصطفى واختار رسله من أشرف خلقه .

١٥.أَخَذَ الله على الحُكّام : عدم اتباع الهوى ، ولا يخشون أحدا إلا الله ، ولا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا .

١٦. أصول الأقضية في أربع آيات : قوله تعالى لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وقوله جّل وعلا : ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ و قوله تبارك وتعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ ﴾ وقوله عزّ وجل :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾ .

*   *   *   *   *

المصادروالمراجع :

١. الأحكام السلطانية : محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء ، أبو يعلى ،(ت٤٥٨هـ) تصحيح ونعليق : محمد حامد الفقي ، طبعة : ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٢. الأحكام السلطانية والولايات الدينية : علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي أبو الحسن ، (ت ٤٥٠ هـ) ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٣. أسباب النزول :علي بن أحمد الو احدي النيسابوري، أبو الحسن ، (ت ٤٦٨هـ) عالم الكتب ـ بيروت.

٤. أسد الغابة في معرفة الصحابة : علي بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير،أبو الحسن (ت ٦٣٠هـ) تحقيق خليل مأمون شيحا، الطبعة: الأولى ـ دار المعرفة.

٥. الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني ، شهاب الدين أبو الفضل المعروف بابن حجر ،(ت٨٥٢هـ) دار العلوم الحديثة ، الطبعة: الأولى .

٦. إعراب القرآن : أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، أبو جعفر،(ت ٣٣٨هـ) ، تحقيق زهير زاهد ، الطبعة : الثالثة ، عالم الكتب

٧. إنباه الرواة على أنباه النحاة: على بن يوسف القفطي ، (ت٦٤٦هـ) ، طبعة ١٣٦٩هـ ، دار الكتب المصرية .

٨. البحر المحيط: محمد بن يوسف بن على الشهير بأبي حيان الأندلسي ، (ت ٧٥٤هـ) دار الفكر ـ بيروت.

٩. البداية والنهاية : إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري أبو الفداء المعروف بابن كثير ،(ت ٧٧٤ هـ) طبعة : دار هجر ـ مصر

١٠. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، (ت٨١٧هـ) ، تحقيق: محمد على النجار، المكتبة العلمية ـ بيروت ـ

١١. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد جلال الدين السيوطي، (ت٩١١هـ) طبعة : ١٣٢٦ هـ ـ مصر

١٢. تاريخ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآملي ، أبو جعفر الطبري ،(ت٣١٠هـ) الطبعة : الثانية ،دار التراث ـ بيروت .

١٣. تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي : محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو علي (ت١٣٥٣ هـ)، عناية : رائد صبري ، الطبعة : السادسة ، بيت الأفكار الدولية ـ الأردن

١٤. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف : زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ،أبو محمد،(ت ٦٥٦هـ)، ضبط وتعليق:
مصطفى عمارة، الطبعة: الثالثة ـ دار إحياء التراث العربي.

١٥. تذكرة الحفاظ: محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الإمام الذهبي ، (ت ٧٤٨هـ)، طبعة : ١٣٣٣ هـ ـ حيدر آباد.

١٦. التعريفات :علي بن محمد الجرجاني ،(ت ٨١٦هـ) الطبعة: الأولى ، دار الكتب العلمية ـ بيروت

١٧. تفسير ابن كثير: إسماعيل بن عمر أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، (ت٧٧٤هـ) ، تخريج الأحاديث وضبط الهوامش حسين ابن إبراهيم زهران ، مكتبة الفيصلية ـ مكة المكرمة .

١٨.تفسير البيضاوي: ناصر الدين عبد الله الشيرازي البيضاوي،أبو الخير ، (ت ٦٨٥هـ) دار الفكر - بيروت.
١٩.بتفسير الخازن: علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي علاء الدين المعروف بالخازن،(ت ٧٤١هـ) دار المعرفة - بيروت.
٢٠.تفسير الطبري: محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، أبو جعفر، (ت٣١٠هـ) طبعة : ١٣٩٨هـ ، دار الفكر - بيروت .
٢١.تفسير القرآن العظيم : عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم ،(ت٣٢٧هـ) تحقيق: أسعد الطيب ، الطبعة : الأولى ، مكتبة الباز - الرياض.
٢٢.التفسير الكبير : محمد بن عمر بن الحسن،أبو عبد الله فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) ، الطبعة : الثالثة ،دار إحياء التراث - بيروت.
٢٣.تفسير المراغي :أحمد بن مصطفى المراغي ، (ت١٣٧١هـ) الطبعة : الثالثة ، دار الفكر- بيروت.
٢٤.التلخيص : محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الإمام الذهبي،(ت ٧٤٨هـ) على هامش المستدرك للنيسابوري، دار المعرفة - بيروت .
٢٥. تهذيب التهذيب : أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل المعروف بابن حجر،(ت٨٥٢هـ)
- حيدر آباد.
٢٦. الجامع الصحيح ، سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة ، أبو عيسى الترمذي، (ت٢٧٩هـ) ، تحقيق : أحمد شاكر ، طبعة: الفيصلية - مكة المكرمة .
٢٧. الجامع لأحكام القرآن : محمد بن أحمد بن فرح الأنصاري القرطبي، أبو عبد الله (ت٦٧١هـ) ، دار الفكر - بيروت.
٢٨. الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر : محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي ، شمس الدين (ت٩٠٢) ، تحقيق : ابراهيم باجس عبد المجيد ،الطبعة : الأولى ،دار ابن حزم - بيروت .
٢٩. حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار: عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الديبع، الشيباني وجيه الدين، (ت ٩٤٤هـ) تحقيق : عبد الله الأنصاري ،مطبعة محمد هاشم الكتبي - دمشق .
٣٠. .حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : احمد بن عبد الله بن أحمد الأصفهاني ، أبو نعيم (ت٤٣٠هـ) دار الكتب العلمية - بيروت .
٣١. الخلافة والملك : أبو الأعلى بن أحمد بن حسن المودودي، (ت ١٣٩٩هـ) ، تحقيق : أحمد إدريس ، الطبعة : الأولى ، دار العلم - بيروت .
٣٢. الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة : أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني ، شهاب الدين أبو الفضل المعروف بابن حجر (ت٨٥٢هـ) - حيدر آباد .

٣٣. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي ، شهاب الدين أبو العباس المعروف بابن السمين، (ت ٧٥٦هـ) ، تحقيق : علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود الألوسي البغدادي ، شهاب الدين ، (ت١٢٧٠هـ) طبعة : ١٤٠٣ هـ ، دار الفكر ـ بيروت.

٣٥. سير أعلام النبلاء : محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الإمام الذهبي ، (ت٧٤٨هـ) طبعة : ١٤١٧، مؤسسة الرسالة .

٣٦. سلسلة الأحاديث الصحيحة : محمد ناصر الدين الحاج نوح الألباني ، (ت ١٤٢٠ هـ) ، المكتب الإسلامي ـ بيروت .

٣٧. سنن النسائي : أحمد بن شعيب بن علي النسائي ، أبو عبد الرحمن ، (ت٣٣٠) ، مطبعة : الفيصلية ـ مكة المكرمة .

٣٨. السيرة النبوية : عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ، (ت ٢١٨هـ) تحقيق وضبط : مصطفى السقا وآخرون ، طبعة ١٣٥٥هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر .

٣٩. شذرات الذهب في أخبار من ذهب : عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العكري الحنبلي ، (ت ١٠٨٩م) دار ابن كثير ـ بيروت

٤٠. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري، أبو الحسن (ت ٢٦١هـ) الطبعة : الأولى ، مكتبة الفيصلية ـ مكة.

٤١. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع : محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر السخاوي ، شمس الدين أبو الخير (ت٩٠٢) ، دار مكتبة الحياة ـ بيروت

٤٢. طبقات الحفاظ : عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد جلال الدين السيوطي، (ت٩١١هـ) طبعة : غوطا .

٤٣. الطبقات السنية في تراجم الحنفية : تقي الدين عبد القادر التميمي الداري الغزّي المصري الحنفي (ت ١٠١٠ هـ) ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، طبعة: ١٣٩٠،لجنة إحياء التراث ـ القاهرة .

٤٤. طبقات الشافعية : عبد الوهاب بن على بن عبد الكافي السبكي ،أبو نصر ـ(ت ٧٧١هـ) طبعة: ١٣٢٤هـ ـ مصر.

٤٥. الطبقات الكبرى : محمد بن سعد بن منيع الزهري ، أبو عبد الله ، (ت ٢٣٠هـ) طبعة : ١٣٢١هـ ـ لندن .

٤٦. طبقات المفسرين : محمد بن علي بن أحمد شمس الدين الداوودي (ت ٤٥هـ) دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٤٧. طبقات النحويين: حمد بن الحسن بن عبيد الله الزبيدي الأندلسي ، أبو بكر ، (ت٣٧٩هـ)، طبعة :١٣٧٣هـ ـ مصر.

٤٨. غاية النهاية في طبقات القراء: محمد بن محمد بن يوسف ، أبو الخير شمس الدين ابن الجزري، (ت٨٣٣هـ) طبعة: ١٣٥١ ـ مصر.

٤٩. غرائب القرآن و رغائب الفرقان:الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري نظام الدين ،(ت ٨٥٠هـ) ، على هامش جامع البيان للطبري ، طبعة : ١٣٩٨هـ ، دار الفكر ـ بيروت.

٥٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري : أحمد بن علي بن محمد الكناني ابن حجر العسقلاني، (ت ٨٥٢هـ) دار المعرفة ـ بيروت.

٥١. الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير القاضي البيضاوي: زين الدين عبد الرءوف المناوي ، (ت١٠٣١هـ) دراسة وتحقيق: أحمد مجتبي السلفي، الطبعة : الأولى ، دار العاصمة ـ الرياض.

٥٢. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير:محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، (ت١٢٥٠هـ) طبعة :١٤٠٣ هـ ، دار الفكر ـ بيروت.

٥٣. فوات الوفيات : محمد بن شاكر بن أحمد بن شاكر الكتبي ، الملقب بصلاح الدين (ت ٧٦٤هـ) . طبعة : ١٢٩٩هـ ـ مصر .

٥٤. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، أبو القاسم (ت ٥٣٨هـ) دار المعرفة ـ بيروت .

٥٥. الكشف عن وجوه القراءات السبع :مكي بن أبي طالب القيسي، أبو محمد (ت٤٣٧هـ)، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الثانية ـ بيروت .

٥٦. لسان العرب : محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور ، (ت ٧١١هـ) ، الطبعة : الأولى .

٥٧. لسان الميزان : أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني ، شهاب الدين أبو الفضل المعروف بابن حجر ،(ت٨٥٢هـ)، طبعة:١٣٣١ هـ،حيدر آباد .

٥٨. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : محمد بن أبي بكر بن سعد شمس الدين ،المعروف بابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي ـ بيروت .

٥٩. المستدرك على الصحيحين : محمد بن محمد بن أحمد الحاكم النيسابوري ، أبو عبد الله ،(ت ٣٧٨هـ) ، دار المعرفة ـ بيروت .

٦٠. مسند الحميدي : عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي،(ت٢١٩هـ) ، الطبعة: الأولى ، دار السقا ـ دمشق .

٦١. المصباح المنير : أحمد بن محمد بن على الفيومي، أبو العباس (ت٧٧٠هـ) مطبعة: مصطفى البابي الحلبي ـ مصر.

٦٢. معالم التنزيل في التفسير والتأويل : الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي، أبو محمد ،(ت ٥١٠هـ) طبعة:١٤٠٥ هـ ، دار الفكر ـ بيروت.

٦٣. معاني القرآن: سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي المعروف بالأخفش أبو الحسن (ت ٢١٥هـ) دراسة وتحقيق: عبد الأمير محمد الورد، الطبعة: الأولى ، عالم الكتب .
٦٤. معاني القرآن : يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء، أبو زكريا (ت ٢٠٧هـ) تحقيق: أحمد يوسف نجاتي وآخرون ـ دار السرور.
٦٥. معاني القرآن وإعرابه : إبراهيم بن السري بن سهل المعروف بالزجاج، أبو إسحاق ، (ت ٣١١ هـ) شرح وتحقيق: عبد الجليل شلبي، الطبعة:الأولى،عالم الكتب ـ بيروت.
٦٦. معجم الألفاظ الفارسية المعربة : السيدادي شير ،طبعة : ١٩٨٠م ، مكتبة لبنان ـ بيروت .
٦٧. معجم الصحاح: إسماعيل بن حماد الجوهري،أبو نصر (ت٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة : الثانية .
٦٨. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي،(ت ١٣٨٨هـ) طبعة :١٩٨٤ م.المكتبة الإسلامية ـ استانبول.
٦٩. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الإمام الذهبي،(ت٧٤٨هـ) تحقيق: بشار عواد معروف، الطبعة : الأولى ،مؤسسة دار الرسالة ـ بيروت .
٧٠. المفردات في غريب القرآن: الحسين بن محمد المعروف بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني ، أبو القاسم (ت ٥٠٢هـ) تحقيق محمد سيد كيلاني ، مكتبة :البابي الحلبي – مصر.
٧١. مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون ، ولي الدين أبو زيد الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ) ، الطبعة : الرابعة : ١٩٨١م، دار القلم ـ بيروت .
٧٢. الكامل في التاريخ : علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ، عزّ الدين ابن الأثير توفي (٦٣٠هـ) ، الطبعة : الأولى، دار الكتاب العربي ـ بيروت .
٧٣. الموضوعات : عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، أبو الفرج ، (ت ٥٩٧هـ) تحقيق : عبد الرحمن عثمان ، الطبعة: الأولى .
٧٤. ميزان الاعتدال في نقد الرجال : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي شمس الدين ، أبو عبد الله ، (ت ٧٤٨هـ) ، طبعة :١٣٢٥ هـ ـ مصر.
٧٥. الناسخ والمنسوخ : علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، أبو الحسن ، (ت٤٦٨هـ) على هامش أسباب النزول ، عالم الكتب ـ بيروت
٧٦. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : يوسف بن تغري بردي الظاهري ، أبو المحاسم (ت ٨٧٤هـ) ـ دار الكتب المصرية.
٧٧. النحو الوافي : عباس حسن مصطفى (ت ١٣٩٨ هـ)، الطبعة : الخامسة ، دار المعارف ـ مصر.
٧٨. النشر في القراءات العشر : محمد بن محمد الدمشقي أبو الخير الشهير بابن الجوزي (ت ٨٣٣)، دار الفكر.

٧٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي ، برهان الدين أبو الحسن (ت ٨٨٥هـ) و وضع حواشيه :عبد الرزاق المهدي ، الطبعة : الثالثة، دار الكتب العلمية - بيروت .

٨٠. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : محمد بن محمد القرشي الشهير بالمقري ، (ت ٧٥٨هـ) طبعة: ١٣٠٢هـ - مصر.

٨١. النهاية في غريب الحديث والأثر : المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير(ت ٦٠٦هـ) ، دار الفكر - بيروت .

٨٢. الوافي بالوفيات : خليل بن آيبك بن عبد الله الصفدي ، صلاح الدين ،(ت ٧٦٤هـ) جمعية المستشرقين الألمانية .

٨٣. الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع : عبد الفتاح عبد الغني القاضي،(ت١٤٠٣)، مكتبة: الدار - المدينة المنورة .

٨٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين(ت٦٨١هـ) طبعة :١٣١٠هـ - مصر .

*****